# سيدة سوريا

شـهرية مستقلـة تعنى بـالمرأة السـورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

تشرين ثاني ٢٠١٤ / العدد (٩)

حقوق المرأة وتمكينها في العالم العربي

العدالة الانتقالية في سوريا وقضية جبر الضرر

الدعم النفسي لفاقدي الأطراف

لقاء:
– فاديا فضة وذاكرة لدور المرأة الفلسطينية في النضال

تحقيق
– مبتورو الأطراف قليل من الحركة كثير من الحياة
– سوريون يتعايشون مع فقدان أطرافهم

## العناوين:


افتتاحية

مبتورو الأطراف.. قليل من الحركة كثير من الحياة
• تحقيق: نور مارتيني

العودة إلى الجامعات حلم أحرقته نار الحرب
• شيرين بريك

في ظل مستقبل مجهول
سوريون يتعايشون مع فقدان أطرافهم
• رهف موسى

الدعم النفسي لفاقدي الأطراف
• نجاح سفر

الأطراف الصناعية المستقبلية
عندما تدخل الأعصاب في تكوينها
• ترجمة ليلى كريم

إرادات لبشر يساهمون في صنع أقدارهم
• إعداد: محمد الجرف

الذراع الأيسر وحده حرّ
• خوشمان قادو

العدالة الانتقالية في سوريا وقضية جبر الضرر
• سحر حويجة

سوريو الشتات في بريطانيا يتّحدون لبناء السلام في بلدهم
• إعداد: إميليا سميث
فريق ترجمة سيدة سوريا

نساء الظِّل.. من أجندة نساء الثورة
• إعداد: وجيهة عبد الرحمن

ثلاث حكايات عن نساء سوريات في مصر
• سامر مختار – القاهرة

فاديا فضة وذاكرة لدور المرأة الفلسطينية في النضال
• حاورتها سيدة سوريا

محاولات للثورة السورية
• فادي. أ. سعد

حقوق المرأة وتمكينها في العالم العربي
• إعداد: صوفي بيسيس
ترجمة: د. إنعام شرف

«داعش» وعودة الماضي إلى الحاضر
• صبحي فرنجية

السيداو

ما الذي قدمه الإعلام لتنظيم الدولة الإسلامية
• جلال زين الدين

عشرات البريطانيات يلتحقن بتنظيم «الدولة»
• فريق ترجمة سيدة سوريا

الحصبة
• فريق تحرير سيدة سوريا

الأرانب وسيلة لكسر الحصار
• فريق تحرير سيدة سوريا

الرقة تذبح بصمت

تسالي

نضال المرأة .. غياب النكهة!
• ريدي مشو

عشرون مليون معجزة سرّية
• بسمة شيخو

فيلم جليلة: كما هي المرأة السورية
• فريق تحرير سيدة سوريا

أبو خالد بائع الحضارة الأتعس
• سلطان جلبي

أدب:
– أحدث صديقتي الجالسة بجواري الآن
• لونا العبد الله

– في المنفى القريب
• علي الأعرج

حملات

الصفحة الأخيرة عملان للتشكيلية نادية نعيم

سيدة سوريا

رئيس التحرير:
محمد ملّاك

مدير التحرير:
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة:
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير:
مراد عيد

الإيميل:
saiedetsuria@gmail.com

الفيس بوك:
www.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي:
تركيا - غازي عينتاب
ت:٠٠٩٠٥٥٣٣٦٧٩٥٢٨
٠٠٩٠٥٤٣٥٣٢٢٩٧١
٠٠٩٠٥٣٤٧٣٦٢٤٥٨

السعر خارج سوريا: (٥) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

## للكلام بقية

# كتل الائتلاف المعطّلة ومذابح السوريين جواً وبراً وبحراً

منذ أيام قصف طيران النظام الحربي، مدينة الرقة بتسع غارات قتلت أكثر من مائتي مدني، وجرحت مائة آخرين، في استهداف مقصود لمناطق كثيفة السكان. ولا زالت الطائرات تتابع عملها حتى اليوم، محاولة إيقاع أكبر الضرر بالمدينة الشمالية المحررة اسماً، والتي يحكمها «داعش». تزامن ذلك مع مجزرة في ريف دمشق على طريق العتيبة– الضمير، حيث فتحت قوات النظام نيران الرشاشات الثقيلة والصواريخ على قافلة من العائلات المدنية، جلُّهم من النساء والأطفال، الذين حاولوا الخروج من حصار يفرضه نظام آل الأسد عليهم، فقتلوا العشرات، فيما بقي مصير العشرات مجهولاً. ننوه هنا، أن هذه المجازر بحق مدنيين يحاولون الهرب من الموت جوعاً، بالتسلل ليلاً مع أطفالهم خارج المناطق التي يفرض عليها النظام حصاراً، تحت شعار «الركوع أو الجوع»، ليست جديدة، فلا تزال مشاهد جرافة قوات النظام (وهي تجمع الجثث كأنها حجارة أو بقايا قمامة) ماثلة في الأذهان. وفي البحر، بدأ اكتشاف عشرات الجثث، التي كانت فيما مضى لأشخاص فروا من الموت، وصلت ثمان وثلاثون منها إلى شواطئ بلدات ليبية، بعد غرق قارب كان ينقلها إلى شواطئ حلم بالأمان في أوروبا لم يتحقق. وننوه هنا أيضاً أن هذا القارب ليس الأول، ولن يكون الأخير.

يرافق ذلك إلقاء عشرين برميل متفجر على الغوطة الغربية، وقصف يقتل أكثر من عشرين شخصاً، ويجرح العشرات في ريف درعا.

لكن لَم يختار نظام آل الأسد إيقاع هذا العدد الكبير من القتلى، باستهداف مناطق كثيفة السكان في الرقة، بوقت تحاصر فيه عناصر لجبهة النصرة وكتائب إسلامية أخرى، مدينتي نبل والزهراء، آخر معقلين لقوات النظام، وميليشيا حزب الله اللبناني وأخرى إيرانية، في ريف حلب الشمالي، نبل والزهراء، المدينتان الشيعيتان اللتان انطلقت منهما آلاف القذائف والصواريخ، وعمليات القتل نحو الجوار من المدن والبلدات؟

ستسقط مدينتا نبل والزهراء تباعاً، وسيخلي النظام ضباطه وقادة ميليشيات حزب الله والأخرى الإيرانية بالحوامات، كما يفعل عادة، وسيترك صغار الجنود ومقاتلي الميليشيات، من أجل توابيت إضافية تزيد العداوة ضد السوريين، وسيترك أيضاً مدنيي المدينتين للذبح تحت تأثير ردة الفعل، لما تفعله طائراته ومدافعه من قتل وذبح منذ ثلاث سنوات، ولما تضيفه مجازره الأخيرة في الرقة من مبررات وأسباب للذبح.

نعلم اليوم بعد كل ما حصل، بعد كل ما عبر به السوريون من موت، القتلة الإيرانيون، المرتزقة العراقيون، ميليشيا نصر الله، السلاح الروسي والإيراني الذي لم يتوقف حتى اليوم، كل المال السياسي الذي أغرق سوريا، كل متطرف استقدم بالفتاوى الدينية، والدعاية الغربية المضخّمة لما يحدث، وأذون السماح له بالقدوم، عديد الدول والإمارات والتشكيلات التي نشأت وستنشأ، بما فيها دولة النظام التي لم تعد أكثر من ميليشيا اليوم، وبعد كل المماطلة الدولية، والاستهانة بموت السوريين، في زمن يتقاعس العالم أجمع، ويعجز عن إدخال سلة غذائية لأطفال مهددين بالموت جوعاً، في غوطة دمشق وغيرها من أماكن الحصار، ولا زال يعجز عن إيقاف صواريخ وطائرات نظام آل الأسد، بعد ما يقارب نصف مليون قتيل، نعلم اليوم كسوريين، أنه ما من طفل يقتل أو امرأة تغتصب، أو عائلة تشرد، إلا ووراءهم قصد وقتل عمد وجريمة لا تغتفر.

يرافق كل ذلك الاستهتار الدولي، مشهد قبيح يرسمه نظام الملالي وولاية الفقيه في إيران، أحد أهم أسباب ما يحصل من تقتيل في سوريا والمنطقة، فنظرة سريعة إلى المنطقة، تبين الأثر التوسعي لإيران الساسانية الإمبراطورية، بوجهها القبيح، والتي تحكم بولاية الفقيه الأشخاص فوق انتماءاتهم الوطنية والقومية، كمطايا لسياياتها ومصالحها، الحوثيون اليمنيون اسماً، التابعون لولاية الفقيه انتماء، والذين يشنون اليوم حرباً على مدن اليمن، يدخلونها، يحتلون مؤسساتها، ويدمرون السلم الأهلي فيها، بسلاح وأوامر إيرانية.

الأمر نفسه ينطبق على حزب الله اللبناني، الذي يخون مواطنيه في خدمة ولاية الفقيه، واضعاً لبنان على حافة حرب أهلية جديدة، بعد سنوات من تعطيل قرار الدولة فيها. وك ميليشيا تحتل الدولة وتصادر قرارها، لا تختلف عن ذلك كل الشرور التي جلبها المالكي المؤتمِر بأوامر الولي الفقيه في إيران أيضاً، جالباً هذا الكم من الفساد والانحياز الطائفي الذي مورس على العراقيين، ما سمح بتعطيل الدولة وانهيار جيشها، وأتاح ظهور داعش وكل ما يحصل في العراق اليوم.

كذلك في سوريا حيث تفتّت لحمة المجتمع السوري، بتأثير العدوان على الشعب السوري، الذي شنه نظام آل الأسد الطائفي، مدعوماً بملالي إيران وأدواتهم، والذي يبدو أن ثمنه «كاملاً» لم يدفع بعد.

الآن، وفي ظل هذا المشهد، أين يقف مشروع استعادة قرار سوري يجمع السوريين، بقيادة معارضة كلما اجتمعت لاتخاذ قرار، انسحبت من جلسة التصويت، في محاولة تعطيلها. كثير من التعنت واللامسؤولية والشخصنة.

وبينما يسابق السوريون الزمن من أجل ذرة دفء، حبة دواء، وشهيق إضافي تحت الأنقاض، تهدر معارضتهم الوقت والفرص في جدل بيزنطي، وصراع مقيت على المصالح وتصارع القوى، لتقف عارية فيما كل شيء يدمر من حولها.

رئيس التحرير

# مبتورو الأطراف.. قليل من الحركة كثير من الحياة

## شهادات لأشخاص تعرضوا لبتر الأطراف وبوح لذويهم عن تفاصيل التجربة

• تحقيق: نور مارتيني

لا يكاد بيت من بيوت السوريين يخلو من مصيبة خلّفتها الحرب طويلة الأمد التي تشهدها سوريا، هذه الضريبة تتفاقم أو تتضاءل وفق عوامل كثيرة، والأرياف نالت خلال بدايات الحراك الثوري القدر الأكبر من الخراب والانتهاكات.

في البدايات، لم يعمد النظام إلى استخدام الأسلحة الثقيلة بكثافة، تحديداً داخل المدن، بل كان يلجأ للرشاشات المتوسطة والخفيفة، معتمداً على القناصين، الذين كانوا بدورهم احترافيين ومعظم طلقاتهم قاتلة، كونهم اعتادوا التركيز على القسم العلوي من الجسد، ومن نجا من هذه الطلقات، لم يسلم من تبعاتها، كالإصابة بالشلل على سبيل المثال. ومع قدوم وفد المراقبين العرب وبعثة «الدابي» مطلع عام 2012، كان من الضروري إخفاء مظاهر التسلح داخل المدن، لذر الرماد في العيون، فقام النظام بسحب الأسلحة الثقيلة خارج مراكز المدن في محاولات للتمويه، وإنكار تواجدها أساساً. غير أنه حين تأكد من مضي الشعب في ثورته، أياً كانت النتائج، عمد إلى استخدام هذه الأسلحة، بكل ما تمتاز به من قدرة تدميرية عالية، في حربه ضد مواطنيه، الأمر الذي خلف المزيد من الدمار، الخسائر البشرية، والكثير من الإعاقات الجسدية والنفسية، ظاهرة بتر أطراف المصابين، تظل الأشدّ وطأة بين كل تلك المظاهر، لما لها من تأثير نفسي وجسدي على المصاب نفسه، وعلى المحيط الاجتماعي الذي يعيش ضمنه.

في هذا التحقيق، تعرض مجلة «سيدة سوريا»، لمعاناة مجموعة من ضحايا الحرب الدائرة في سوريا، ممن خسروا أطرافاً، أو فقدوا قدرة الاعتماد على أنفسهم لتدبّر أمور حياتهم، وترصد كذلك معاناة من يقوم بإعالتهم.

### فاطمة..الوجع الحلبي

فاطمة سيدة حلبية، انفجر بها لغم أثناء هروبها من معبر غير نظامي خلال الحملة الشرسة على مدينة حلب، ما أسفر عن إصابة قدمها، نقلت إلى مشفى في مدينة «كيليس» الحدودية التركية، حيث خضعت لعملية بتر للقدم. عن هذه التجربة تقول فاطمة: «كانت الهجمة شديدة جداً على حلب، عام 2012، كانت لدى زوجي ورشة موبيليا في الشيخ نجار بحلب، احترقت بما فيها بسبب القصف الشديد على الحي، كما قصف منزلنا في حي الميدان. عندما كنت أعبر الحدود بين مناطق النظام والمناطق المحررة، وأنا أظن أنني بأمان، انفجر بي لغم، وأنا أحمل طفلي الذي

كان عمره سنة ونصف، فوقعت أرضاً، كل من عبروا الحدود، سواء قبلي أو بعدي خرجوا سالمين، إلا أنا».

بعد إسعافها لمدينة كيليس، قام الأطباء بتركيب سيخ في قدمها، ثم أخرجوها من المشفى دون حبة مسكن، أو أي نوع من أنواع الأدوية أو التعقيم، طبعاً بعد أربعة أيام من الإصابة»، تتابع: «بعد خروجنا من المشفى، ذهبنا إلى مدينة غازي عينتاب التركية، بتنا خمسة أيام في الحدائق، كان وضع قدمي يزداد سوءاً، وبدأ لونها بالتغير، توسل زوجي لأحد الأطباء كي يأتي معه ويرى حالتي، حين شاهد قدمي، أكد أنها بحاجة للبتر بسبب إصابتها بالغنغرينا».

قضت فاطمة شهرين في أحد مشافي مدينة غازي عنتاب التركية، خضعت خلالهما لعملية تصحيح بتر، بعد أن خضعت لعملية بتر لم تكن كافية.

تقول فاطمة: «حصلت على طرف صناعي بعد سبعة أشهر من إصابتي، لكنه سيئ، فهو من النوع البدائي الثقيل، لكنني سعيدة لأنني أستطيع شراء حاجيات منزلي، وأخذ ولديّ إلى الحديقة».

«وفاء» شقيقة «فاطمة»، والتي رافقتها في رحلة الشقاء تلك، كان لها نصيبها من العذاب، ولكن في منحى آخر، حيث التحقت بأختها أثناء فترة إقامتها في المشفى، بعد أن علمت بما حلّ بها، «اضطرت وفاء لإبقاء ابنتها مع ولديّ عند بعض معارفنا، غير أن الأطفال أصبحوا في وضع نفسي سيئ جداً، كما أصيبوا بالمرض نتيجة لإحجامهم عن الطعام، لبعدهم عن أمهاتهم لفترة طويلة من ناحية، وبسبب خوفهم على مصير أمهم من ناحية ثانية، نتيجة ما كان يدور أمامهم من أحاديث».

بعد شفاء «فاطمة» التام، وتركيب طرف صناعي لها، وصل أهل زوجها مدينة أنطاكيا حيث تقيم، وهنا بدأ زوجها يتذمّر من تواجد «وفاء»، ومن المصاريف، وفوضى ابنتها، فاضطرت للعمل في عيادة طبيب مقابل 70 ليرة تركية أسبوعياً كي تؤمن احتياجات ابنتها على الأقل، تتحدث «وفاء» عن معاناتها فتقول: «لا ألومه، فالحياة صعبة، زوجي طلّقني لأنه طلب مني العودة ورفضت بسبب عدم شفاء فاطمة تماماً، ولأنها لم تكن قد ركبت الطرف الصناعي بعد. مشكلتي معه ليست تعامله معي أو مع ابنتي، المشكلة في أختي التي تتعرض للضغوطات يومياً بسببي، كما أنني بدأت أخاف عليها، يطالبها بإنجاب طفل جديد مع أنها لم تتعاف تماماً، أخاف أن تتهوّر وتخاطر بصحتها وحياتها لإرضائه هو وأهله، أما أنا فسأعود لزوجي، وسأرجع إلى سوريا، خاصة بعد أن طردني زوج أختي وصرت مضطرة للمبيت في العيادة».

## الطفلة ميساء: في سوريا لا ينظرون إلي باستغراب!

أما الطفلة «ميساء، 13 عاماً»، من بلدة كفرومة في محافظة إدلب، والتي تقيم حالياً في

دار الاستشفاء التابعة للمركز الطبي السوري، فلها قصة مغايرة. أصيبت «ميساء» بطلقة قناص في بداية عام 2012، قبل خروج جيش النظام من البلدة، عن إصابتها تقول: «في فصل الشتاء عام 2012، فتحت باب المنزل لأجلب الحطب من أمامه، لمحني القناص فأصابني في ظهري على الفور، جئت إلى مدينة الريحانية، وخضعت للعلاج لمدة سبعة أشهر، إلى أن أصبحت قادرة على التحكم بالجزء العلوي من جسمي».

أما والدتها فتقول: «في بداية إصابتها لم تكن تستطيع القيام بأي شيء، بقيت معها في الدار مدة سبعة أشهر، وهي تتلقى العلاج والمعالجة الفيزيائية، كي تستطيع التحكم بالجزء العلوي من جسمها، ولكنها فقدت الإحساس كلياً بنصف جسمها السفلي».

منذ قرابة العام، غادرت «ميساء» دار الاستشفاء، غير أنها عادت لها قبل شهرين، بعد تعرضها لكسر في عظم الفخذ، فقد كانت الطفلة تحاول الانتقال من السرير إلى الكرسي المتحرك دون إزعاج والدتها، غير أن عظم الفخذ لديها تعرض لكسر مترافق،

نتيجة اختراق العظم للحم، ما أدى إلى إنتان شديد، وهي حالياً تتلقى العلاج.

تقول «ميساء»: «أذهب إلى المدرسة، أنوي متابعة دراستي كي أعتمد على نفسي في المستقبل، في سوريا لا ينظرون لي باستغراب، هنالك كثيرون حالهم مثل حالي وأسوأ، فقط في تركيا يفاجئهم منظري على الكرسي المتحرك، ويسألون عن السبب..».

وبالرغم من كل معاناة «ميساء»، فمعاناة والدتها الأربعينية ليست أقل، وتتلخص بأن والد «ميساء» وشقيقها الأكبر والذي كان عمره 15 سنة استشهدا بعد سنة واحدة من إصابتها، ووجدت الأم نفسها مسؤولة عن إعالة أربعة أطفال جميعهم دون العاشرة، وطفلة مشلولة: «لا أستطيع مغادرة المنزل، يجب أن أبقى لأتابع ابنتي، خاصة وأنها تتعرض بشكل دائم للالتهابات نتيجة القسطرة البولية، كما أنها تحتاج للمساعدة في كل شيء، وهي فتاة حساسة ، سبب وجودي في دار الاستشفاء مجدداً هو أنها تريد الاعتماد على نفسها في النهوض».

طبعاً الأطفال الأربعة متواجدون عند زوج أختهم البالغة من العمر 14 عاماً في مدينة الريحانية، وبحسب الوالدة فهو يقوم بمساعدتهم باستمرار، أما عن كل جمعيات رعاية أرامل الشهداء، فتقول: «كله كلام بكلام!».

## عبد الرزاق.. سأعود للمعركة بطرفي الصناعي

«عبد الرزاق»، مقاتل في الثانية والعشرين من عمره، ينتمي إلى إحدى القرى المحيطة بمدينة محردة، تعرّض لإصابة أثناء المعارك الدائرة في ريف إدلب، فيما يقيم أهله في قريتهم، استدعت بتر قدمه من فوق الكاحل، عن إصابته، يتحدث «عبد الرزاق» المتواجد حالياً في دار الاستشفاء ذاتها: «تعرّضت للإصابة أثناء المعارك في ريف إدلب منذ شهرين تقريباً، طبعاً كمقاتل، لا وجود لأي من أهلي حولي، كانت الإصابة قوية أدت لتهشم عظام القدم، واستدعت عملية البتر، اضطرت والدتي للخروج من القرية التي هي حالياً تحت سيطرة

النظام، واستغرق وصولها لمكان وجودي خمسة أيام، وصلنا بعد خمسة أيام أخرى إلى مدينة الريحانية التركية، وكان مكان الإصابة قد تعرض للالتهاب الشديد مجدداً».

حين وصل «عبد الرزاق» إلى الريحانية، اضطر القائمون على دار الاستشفاء إلى إجراء عملية تصحيح بتر إلى ما تحت مفصل الركبة، لم يتعافَ جرحه بالشكل الكافي، وهو ينتظر شفاءه بالشكل الكامل. عن أمله في العودة لساحة المعركة يقول: «لم يبرد جرحي بعد، وحين أتعافى سأسعى لتركيب طرف صناعي، زملائي يقولون إنهم قادرون الحركة بسهولة، هذا هو الحل الأفضل»، ثم يتابع ضاحكاً، والدتي تقول: «إذا ذهبت إلى هناك فحاول أن تكون الإصابة قاتلة»!.

«عبد الرزاق» لا يضع أي مشاريع للزواج أو الاستقرار في الحسبان، فهو يعتقد أن إصابته تزيده تصميماً على الانتقام ممن تسبب له بها، وأنه كي يفكر بالزواج هناك احتمال واحد: «إما أن ينتهي هذا النظام وحينها سأفكر بالاستقرار وأنا مرتاح البال، وإلا فسأظل أحارب».

والدة «عبد الرزاق» سيدة ستينية، وهو أصغر أبنائها، اضطرت هذه السيدة للمخاطرة بحياتها كي تصل إلى مكان تواجده، في منطقة تشهد اشتباكات عسكرية، تقول: «حين وصلني الخبر، لم يكن أمامي سوى أن أذهب إليه بنفسي، زوجي متوفى، وأخاف على إخوته من المرور على حواجز النظام، حاول شقيقه الأكبر أن يأتي ولكنني لم أسمح له، هو أب لأطفال، أما شقيقه الثاني فقد أصيب إصابة كادت تتسبب بموته في العام الماضي، ولم أكن أريد أن يصاب مرة ثانية».

تنتظر والدة «عبد الرزاق» شفاءه التام، كي تعود إلى بيتها وتطمئن على بقية إخوته الذين لا تستطيع التواصل معهم: «سيكون قادراً على الاعتماد على نفسه بمجرّد شفائه، ولن يحتاجني بعد تركيب الطرف الاصطناعي».

## المركز الطبي السوري.. شيء من الأمل

الأستاذ «ياسر السيد»، مدير المركز الطبي السوري (دار الاستشفاء)، أكد على أن الدار تستقبل «كافة الحالات والإصابات بعد العمل الجراحي، فيما يتعلق بمتابعة الجروح الساخنة، والتي تتطلب اهتماماً من الناحيتين الصحية والنفسية، خاصة بعد افتتاح عيادة نفسية، كما أن العاملين في دار الاستشفاء تلقوا تدريبات على يد منظمات أجنبية مثل Handicap International الفرنسية».

أما الإصابات التي تصلهم، فتتحدث عنها السيدة «أم مصطفى»، وهي ممرضة في الدار: « أشعر بالتعب نتيجة لحرج أوضاعهم، خاصة وأنني مسؤولة عن النساء والأطفال، أما الاستماع قصصهم فيضاغف الشعور بالتعب»، وتتحدث عن سيدة أصيبت بالشلل وخرجت من دار الاستشفاء، فطلب الزوج من أهلها «أخذها لأنه تعب» وحين رفض الأهل، أخذتها أختها إلى استانبول، وذكرت حادثة طفل آخر «بتر طرفاه العلويان ورجله من الفخذ بسبب برميل تم إلقاؤه على بيته»، وآخر» تركه ذووه لمدة عام ونصف، بعد تعرضه لبتر رجله من منطقة الفخذ» دون مراجعة دار الاستشفاء، التي أسكنته مع العاملين فيها، في الطابق العلوي، وراحوا يتابعون أحواله، بسبب «انشغال أهله عنه بالعمل في جني محصول القطن».

في النهاية، يشير الأستاذ «ياسر»، مدير المركز، أنه» لا توجد إحصائية دقيقة لعدد مبتوري الأطراف، بعض الإحصائيات تقول إن هناك ثمانين ألف شخص على امتداد سوريا، لكنه رقم غير دقيق، بسبب تعدد الجهات والمنظمات وغياب التنسيق، فضلاً عن أن وزارة الصحة في الحكومة المؤقتة لم تقم بأي من واجباتها تجاه هذا القطاع، فعلى سبيل المثال لم تقدم لنا أي دعم، بل إننا حين تواصلنا معهم لزيارة المركز في الريحانية والاطلاع على الوضع، تذرعوا بعدم توافر الوقت للزيارة، ونحن المتواجدون في منطقة هي الأقرب إلى مقر الحكومة في عينتاب، فكيف لها أن تقوم بتوثيق عمل كل المنظمات العاملة داخل سوريا!».

ينتظرنا الكثير من العمل كي نخرج سوريا من محنتها، ففي علم النفس، يبدأ الشعور بالصدمة النفسية بعد عام ونصف على الخروج من التجارب المؤلمة، ولهذا نحتاج الكثير من الدعم النفسي، بالإضافة لتعويض الأطراف المبتورة، لأن شخصاً واحداً من الأسرة، هو من يتعرض للإعاقة الحركية من بتر أو شلل، ولكن محيطه الاجتماعي بأكمله يحتاج لمعالجة نفسية خاصة، للخروج من دائرة هذه المحنة، ومساعدته على الخروج منها.

# العودة إلى الجامعات حلم أحرقته نار الحرب

• شيرين بريك

**جامعة حلب**

تواجه طالبات الجامعات مشاكل وعقبات يوميّة، يحملن همّها، ويتوجّسن خيفةً من عدمِ إمكانية استكمال حلم التحصيل العلمي في ظلّ الأوضاع الراهنة.

«خديجة/ طالبة في كليّة الهندسة المعماريّة» تحدّثت متألّمةً عن استهداف طائرات النظام لمبنى كليّة الهندسة المعماريّة في منتصف شهر كانون الثّاني من العام الماضي، أثناء تقديم الطلاب لامتحاناتهم، تقول: «القذائف قصفت دوار العمارة، والسكن الجامعي، الوحدة التّاسعة دُمّرت وعادت إلى هيكلها الأول، سقط عدد من الشهداء، وباتت فرصة العودة إلى الكليّة شبه مستحيلة».

وثّق حينها ما يزيد عن خمسين شهيداً معظمهم من طلاب الجامعة، حيث تزامن القصف مع ازدحام الكليّات في وقت الامتحانات.

تضيف خديجة: «أهلي فرضوا عليّ إيقاف دراستي لحين انفراج الأزمة، لكن ما نشهده هو وصول الأوضاع إلى حد الكارثيّة في حلب، ومثلها في المحافظات الأخرى، هُنا أرى حلمي يتلاشى أمام عيني في أول خطواتي للمستقبل».

أحلام الكثيرات كحلم «خديجة» باتَت تنتظر انفراج الأزمة، للعودة إلى الجامعة أو استكمال الدراسة على أقلّ تقدير، بيد أنّ خطورة السفر للمقيم في المحافظات الأخرى تعرضه لشيءٍ من المغامرة أو المخاطرة، بسبب انقسام السيطرة فيها بين قوات النظام من جهة، وكتائب الجيش الحرّ من جهةٍ أخرى، ولا ننسى هالة الخطر المرسومة حول وجود الكتائب «المتأسلمة» في بعض المناطق الأخرى. فبسبب الاقتتال فيما بينها اضطر عدد كبير منهن لإيقاف دراستهن، حتّى لا يضعهن السفر إلى كليّاتهن موضع الخطر، هذا ما كان يشرح مشكلة «هيفي أحمد/ كليّة الاقتصاد»، فتحدّثت: «الطريق من دمشق إلى حلب لم يكن آمناً لوصولي إلى كليّتي، وتقديم الامتحانات على الأقل، وقلق عائلتي من خروجي إلى محافظة أخرى في ظروفٍ انعدم الأمن فيها، حتّم عليّ إيقاف دراستي لوقتٍ محدّد».

قلق الأهل وتخوّفهم على بناتهم كان مضاعفاً أثناء توجّههن إلى العمل أو الدراسة ضمن المحافظة الواحدة، كيف وإن كان تحصيلها يحتّم عليها السّفر إلى مناطق أخرى، مردّ هذا الخوف أو القلق لم يكن على حياتها فحسب، بل بما كان جنود النظام يقومون به كالتحرّش بهن لإهانتهن.

تستكمل «هيفي» قصّة نزوحها من دمشق إلى الحسكة: «بعد نزوحي إلى الحسكة مع عائلتي، تمكّنت من تقديم امتحان بعض المواد في جامعتها، لكن المعارك والاشتباكات الدائرة، جعلتنا نفكّر باللجوء إلى تركيا بعد انعدام الأمن كليّاً في المدينة، ما حصل أنّ بياناتي لم تستوفِ شروط الدخول للجامعات التركيّة».

ما بدا على وجه «هيفي» أظهر شيئاً من قوة عزيمتها للتأقلم مع وضعٍ فُرض عليها، رغم أنّ ستّ مواد كانت تقف وبينَ أملها بالتخرّج.

هموم طالبات الطبّ باتت أكبر في احتمال تبعات الظروف السيئة، ففي بعض الحالات كن يتعرّضن لخطر الملاحقة من النظام أو من مخبريه المعروفين في المنطقة، عند محاولاتهن تقديم الدعم أثناء إسعاف الشباب المصابين أثناء التظاهر، تحدّثت «جنان/ طالبة طب بشري»: «في مظاهرات حلب الأولى، كان قمعها عنيفاً من جيش النظام وشبيحة التجّار المعروفين بولائهم له، بالنظر لما يتعرّض له المتظاهرون من إطلاق للرصاص، وضربهم أحياناً بالأدوات الحادة ما يسمّى بـ (السلاح الأبيض) كان من واجبنا تقديم يد العون لهم بعدما كان رفاقهم يسعفونهم إلينا، كمتطوعين في تقديم الإسعافات للحالات غير المعقدّة أو الخطيرة»، إسعاف الجرحى من المتظاهرين، كان يعدّ لدى النظام جريمةً يفوق عقابها عقاب المتظاهر بحد ذاته.

تعرب «جنان» عن أسفها حين غادرت فتقول: «كنت أحسّ بقيمة عملي، بمجرّد إيقاف النزف من جرح صغير، لكنني لم أستطع أن أتمّم بعد أن تعرّض زميلان لنا للاعتقال، حينها طلب منّي والدي الكفّ عن عملي، خرجنا بعدها بأيّام إلى تركيا، حين بدأ الخطر يحوّم حول عدد من أفراد عائلتي، خسرت دراستي، والعمل الّذي كان يزيدني شعوراً بإنسانيّتي».

بعض الطّالبات التحقن بجامعة تشرين في اللاذقيّة، بعد انقطاع السبل بهنّ للوصول إلى جامعاتهن، كونها أكثر المحافظات أماناً بالمقارنة مع المحافظات الأخرى الّتي تضمّ جامعات لاستكمال دراستهن

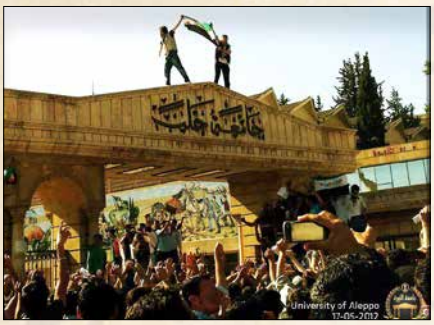


كـ «راما عبده/ أدب إنكليزي» التي تقول: «تعيّن عليّ التسجيل في جامعة تشرين، حيث أصبحت مقصد العديد من زملائي، لم يمانع أهلي الالتحاق بها، لأنّ اللاذقيّة لم تصلها تبعات الاقتتال كحلب أو دمشق، شعرت بالراحة بعض الشيء، لأنني حصلت على فرصة لمتابعة دراستي، لكن واجهتني مشاكل عديدة داخل الجامعة وخارجها، فقد تمّ حذف نتيجة معظم المواد الّتي قدّمتها في الدورة التكميلية، ولم تعترف إدارة الجامعة بها، فاضطررت لإعادة تقديمها، الأمر الّذي يعيق تخرّجي».

من المشاكل الّتي تواجه الطالبات المنتقلات إلى جامعة تشرين تذمّر البعض منهن، خاصّةً بعد معرفة عناصر الحواجز والموالين فيها بانتمائهن إلى محافظات ومناطق شهدت حراكاً ضدّ النظام، وإلقاء الكلام غير اللائق على مسامعهن في بعض الأحيان.

تتابع «راما» حديثها عن المشكلات الّتي واجهتها: «لم يتسنَّ لي الحصول على سكن طلّابي، ممّا جعلني أتوجّه لاستئجار شقّة مع زميلة لي، وهذا ما وضعنا في دائرة استغلال مالكي الشقق لرفع كلفة الإيجار الّتي تفوق أحياناً قدرتنا الماديّة على سدادها».

الدّراسة الجامعيّة في ظلّ ظروف الحرب تبقى حلماً مشوباً بالعوائق والمنغّصات، الّتي تقف عائقاً في سبيلهن إلى مستقبل ينتظرنه بتوق.

# في ظل مستقبل مجهول
# سوريون يتعايشون مع فقدان أطرافهم

• رهف موسى

دخلت الثورة السورية عامها الرابع منذ عدة أشهر، تم خلالها توثيق مقتل أكثر من 150 ألف شخص بسبب عنف النظام، لكن الرقم الذي كثيراً ما يُغفل هو عدد الجرحى، والذي تجاوز النصف مليون وفقاً للجنة الدولية للصليب الأحمر. وقد عانى عدد غير محدد منهم من إصابات بالغة أدت إلى إعاقات جسدية دائمة. ويمكن ملاحظة أن الصراع السوري غير مميز بهذا الخصوص، فجميع الحروب تشوه وتقتل، لكن المختلف هنا هو السلاح المستخدم في المذبحة، ففي كمبوديا كان السلاح ألغاماً أرضية، وفي العراق عبوات متفجرة وعمليات انتحارية، أما في سوريا فالذنب ذنب المدفعية والغارات الجوية المحملة بالبراميل المتفجرة.

معظم حالات الإعاقة الجسدية الحاصلة هي نتيجة فقدان واحد من الأطراف أو أكثر، لكن، وبمساعدة بعض المنظمات الدولية المتخصصة تم تأمين أطراف اصطناعية لعدد كبير من الحالات ومتابعة لسير عملية التأقلم مع الطرف الجديد نفسياً وجسدياً. وسُجلت قصص نجاح وإصرار كثيرة تدل على عزيمة سورية لا تلين، وإن عانت من لحظات ضعف في وجه طغيان لا يرحم، والقصص الثلاثة التالية تتحدث عن أمثلة لهذه العزيمة.

## حياة جديدة

يقطب «مصطفى أحمد» حاجبيه وهو يدخل ما تبقى من ساقه في الساق الاصطناعية الجديدة، مد يديه إلى الجانبين ليحافظ على توازنه، ارتفع ببطء ومشى متعثراً على الأرض الترابية لخيمته الآيلة للسقوط باتجاه بابها. يطل أطفال ذوي شعر أشعث من فجوة في الغطاء البلاستيكي الذي يمثل حيطان الخيمة، محاولين إلقاء نظرة على عملية تركيب طرف اصطناعي لأحمد، بعد أكثر من عامين على فقدانه ساقه في غارة للنظام على بلدته في شمال سوريا. بعد انتهائه قال أحمد، وجبهته تلمع من قطرات العرق: «أشعر برغبة في السير لمسافة طويلة، لأذهب وأرى أصدقائي وجيراني. أشعر بأني استرجعت ساقي، أشعر بأني طبيعي وعدت كما كنت».

أصيب «أحمد» (19 عاماً) بشظايا مزقت جزءاً من ساقه، إثر غارة جوية للنظام في تشرين الثاني 2011 على بلدته «دير حافر» التابعة لحلب. يقول «أحمد» عن الحادثة: «عندما استيقظت في المستشفى شعرت بألم شديد، وعلمت أني فقدت ساقي، أول إحساس انتابني هو أن حياتي انتهت، لم يعد بإمكاني السير أو العمل أو الخروج. كنت وحيداً مع سريري وفقدت الأمل». مع قلة الخيارات في سوريا استخدم «أحمد» العكازات ليتحرك، ومن ثم صنع هو ووالده ساقاً اصطناعية منزلية هزيلة من البلاستيك والجوارب، استخدمها لستة أشهر قبل أن يتخلص منها لكونها غير مريحة ومؤلمة، بالإضافة لقصرها، مما جعله يعرج أثناء استخدامها كما يقول.

ازداد العنف في المناطق الشمالية السورية مطلع عام 2013، ما دفع بأحمد وأسرته لمغادرة دير حافر إلى لبنان. يعيشون الآن على أطراف أرض زراعية في مخيم متهالك، تتكون خيمه من أخشاب ومسامير وأغطية بلاستيكية خارج بلدة «جب جنين» في وادي البقاع.

حصل أحمد على ساقه الاصطناعية الجديدة من «المنظمة الدولية للمعاقين»، وهي منظمة غير حكومية تقوم بمساعدة اللاجئين السوريين في لبنان والأردن، الذين فقدوا أطرافهم، وذلك كجزء من نشاطها العالمي.

يتحدث أحمد: «أسوأ إحساس عشته خلال العامين السابقين شعوري بأنه لم يكن أحد بجانبي، انتهى الأمر بالنسبة لي، وفكرت بأني لن أحصل على ساق ولن أستطيع المشي ثانية. الآن وبما أنني حصلت على هذه الساق يمكنني أن أجد عملاً، وأذهب أينما أريد وألتقي بأصدقائي». حالما خرج من الخيمة تقدم أحمد ببطء على ممر ترابي يحيط بحفرة صغيرة، بينما يراقبه عجوزان من خيمتهما بهدوء، ويتراكض الأطفال حوله ليشاهدوا كل خطوة يقوم بها.

يقول «هنري بونين» (وهو مدير ميداني في المنظمة الدولية للمعاقين) إن المدة الزمنية للتأقلم مع طرف جديد متفاوتة، وبشكل عام يعاني البالغون أكثر من الصغار، وكذلك الذين فقدوا ساقاً من فوق الركبة. كما أن نوعية العملية الجراحية المجراة هي عامل آخر مؤثر، وتتفاوت بشكل كبير في صراع كالجاري في سوريا، فبعض عمليات البتر تتم في مشافي ميدانية أو عيادات مؤقتة. ويضيف: «هناك حالات بتر طارئة، لذا لا تتم على يد جراح عظام بل على يد جراح عام أو طبيب أسنان. في الحالات الطارئة والحرجة، الأهم هو إنقاذ حياة المريض». ويتابع «بونين» بأن العديد من الأطباء في هذه الحالات يقصون العظم بشكل عمودي وليس بزاوية كما يفترض، وإذا كانت نهاية العضو مسطحة بدلاً من أسطوانية، سيحتاج المريض لعملية ثانية أو ثالثة لتصحيح المشكلة والسماح باستخدام طرف اصطناعي،

وهذه العمليات مؤلمة جداً للمريض. المرحلة الفيزيائية صعبة ومنهكة وتوازيها صعوبة الجانب النفسي لفقدان طرف بالنسبة للعديد من السوريين.

## من أجل أولادي

«ريم دياب» سيدة سورية في الرابعة والثلاثين من عمرها، قصف منزلها بقذيفة في 25 تشرين الأول من عام 2012 في مدينة خان شيخون وسط سوريا، توفي زوجها مصطفى وابنتها بتول على إثرها، وعانت هي في الأشهر التالية للحادثة أزمة نفسية حادة، فكان شعرها يتساقط ووجدت صعوبة بالغة في أداء المهام اليومية البسيطة. انتابها أيضاً خوف من أن ابنتها وابنيها الناجين سيرتعبون من منظر أمهم وما تبقى من جسدها أدنى الجهة اليمنى من حوضها، لذا رفضت رؤيتهم لها على هذه الصورة، أرسلتهم إلى خالهم وجدتهم ليعيشوا هناك. تقول «دياب»: «لم أرحب برؤية أي شخص بسبب وضعي الجسدي، وليس فقط أبنائي. لم أرد أن يروني في هذه الحالة، وأنا غير قادرة على التغلب عليها».

جاءت «ريم» إلى لبنان بعد شهرين من عملية البتر، وتم تأمين ساق اصطناعية لها في نيسان 2013، بعدها قام معالج فيزيائي ومعالج نفسي من المنظمة الدولية للمعاقين بزيارتها عدة مرات لمساعدتها في إعادة التأهيل النفسي والجسدي، وقد تأقلمت ببطء مع الطرف الاصطناعي بالرغم من صعوبة العملية. تتحدث «ريم» عن ذلك: «إنها ليست ساقي الحقيقية، أشعر بأنها جسم غريب ولا أستطيع التوازن باستخدامها».

تعيش «ريم» الآن مع أطفالها في خيمة منصوبة على سطح بناء في شتورة بلبنان، تتشارك هذا السطح مع والديها وإخوانها الخمسة وعائلاتهم المكتظين في عدد قليل من الغرف المتلاصقة. ونزولاً عند رغبة المعالج الفيزيائي وإصراره، نزلت «دياب» ببطء على الدرجات الإسمنتية باتجاه الشارع الترابي في الخارج، وعرجت أثناء سيرها بقلق على الرصيف. قالت «ريم»: «اعتاد أبنائي رؤيتي بساق اصطناعية، لقد سألوني أسئلة كثيرة مثل (لماذا تخليت عنا؟)، لكنهم سعداء الآن لأنني أستطيع المشي».

## إصرار على الحياة

«أحمد» شاب ممرض من قرية إبلين في ريف حلب، يعمل كمسعف، فقد ساقه أثناء محاولته إسعاف جريح أصيب في قصف للنظام على المنطقة، بعد سقوط قذيفة بجانبه، فتم إسعافه هو والجريح معاً ودخل في غيبوبة لعدة أيام بعد الحادثة. يقول «أحمد»: «سمعتُ صوت القذيفة، ثم وجدت نفسي في المشفى الميداني، أخبروني بعد مرور عدة أيام على غيبوبتي، شعرت بألم في رجلي، مددت يدي...» ويختنق بدمعة يصعب إخفاؤها، ثم يتابع: «أصبت بشظية في ساقي تسببت في بترها لاحقاً. استمر علاجي حوالي شهرين، وعندما أكملت العلاج سافرت إلى تركيا، وركّبت ساقاً اصطناعية أعادت لي القدرة على المشي بشكل طبيعي إلى حد كبير».

بعد تركيب الساق الاصطناعية عاد «أحمد» للعمل في النقطة الطبية الوحيدة في قريته، لكنه سرعان ما غادرها بسبب إصرار زملائه على عدم ضرورة وجوده وهو في هذه الحالة، وقام بعد ذلك بافتتاح نقطة طبية متواضعة لوحده يقوم فيها بالإسعاف والتمريض. يقول «أحمد»: «لا شيء يثنيني عن ممارسة عملي في معالجة الجرحى والمصابين، إنه العمل الوحيد الذي أتقنه، وسأستمر في خدمة الثورة حتى النصر». ويضيف فيما يخص بداية افتتاح النقطة الطبية: «بدأت العمل في نقطتي الطبية بأدوات تضميد الجروح فقط، ومع دعم أهل الخير تطور العمل»، وتطوع العديد من الأطباء لاحقاً للعمل في النقطة وطغى عملها وتوسعها على النقطة القديمة التي ألغيت فيما بعد. مع ذلك ليس بإمكان «أحمد» العمل في نقل الجرحى أو إسعافهم في مكان الإصابة، بسبب ساقه الاصطناعية التي لا تمكنه من الحركة السريعة، وهو لا يخفي حزنه من هذا الأمر، ويضيف أنه يعاني من صعوبة في التأقلم مع الساق الاصطناعية، ولا يملك الوقت الكافي للتدرب عليها. لكن هذا لا يخفي سعادة «أحمد» بأنه مازال قادراً على ممارسة جزء من عمله، يقول: «العمل حياتي، أعمل 16 ساعة في اليوم، وأعود بعدها لأجلس مع زوجتي وولدي الصغير، وكثيراً ما يطلبونني لحاجة ما في النقطة فأعود إليها سعيداً».

قصص النجاح كثيرة، لكنها متعثرة في ضوء أزمات نفسية وجسدية متتالية، فمن لم يغادر سوريا، مازال معرضاً لاحتمال إصابة جديدة تفاقم حالته مع استمرار طغيان النظام، ومن غادر سوريا ما زال يعاني آلام الفقد غير المنتهية بالإضافة إلى معاناة اللجوء، فنقص الموارد وانعدام فرص العمل والمعاملة السيئة من قبل الدول المستضيفة، لا تضيف إلا كآبة وصعوبة في التركيز على التأقلم مع الطرف الجديد. ومازال العديد من المصابين الذين فقدوا أحد أطرافهم غير قادرين على الوصول إلى المنظمات المختصة، بسبب الحصار وانعدام إمكانية الخروج من سوريا، كما هو الحال في الغوطة الشرقية بدمشق.

# أهمها الثقة بالنفس والعمل
# الدعم النفسي لفاقدي الأطراف

• نجاح سفر

يلاحظ أي خبير في الرعاية الصحية يعمل مع أشخاص فقدوا أطرافاً، أن التحديات النفسية التي يواجهها المريض يومياً صعبة جداً، لأنها تؤثر في جميع جوانب حياته بشكل عميق، عقلياً، عاطفياً، جسدياً وروحياً. ويمكن أن يكون طريق الشفاء قصيراً أو طويلاً باختلاف العمر، الحالة النفسية قبل الحادثة، الحالة المادية، ظروف الحادث، مقدار الدعم المقدم من العائلة والأصدقاء وقيم المجتمع.

يؤكد معظم الأطباء النفسيون، علماء النفس والعاملون في الخدمة الاجتماعية، الذين يعالجون أشخاصاً فقدوا طرفاً، على ضرورة التعامل مع المريض بشكل متكامل، وأخذ حياته بكليّتها بعين الاعتبار، عمله، عائلته، جنسه، صحته وثقته بنفسه. لا تتطابق تجربة شخصين لمشاعر الحزن والإنكار والغضب الطبيعية بذات الزمن المحسوب أو الترتيب، ولن تتطابق كذلك حدة هذه المشاعر. بعض الأشخاص لا يعايشون مشاعر معينة أبداً، مع أن الأشخاص الذين يعانون من بتر، يمرون عادة بمراحل نفسية متشابهة، إلا أنه لا يوجد نمط معياري.

من الضروري أن يستمع اختصاصي الأطراف الصناعية وبقية المختصين بالتأهيل لمرضاهم، فهم أكثر من مجرد «الشخص الذي صنع ساقي» بالنسبة للمريض، سواء لاحظوا ذلك أم لا. وقد تحدث الكثير ممن عانوا من حادثة أدت إلى البتر ،بأنهم يعتبرون اختصاصي الأطراف الصناعية منقذهم وصديقهم، وليس مجرد طبيب، فهؤلاء الاختصاصيون ملاذهم للحصول على السلام والهدوء، بمشاركتهم المشاعر الشخصية والخاصة، لذا عليهم أن يتعاملوا مع وظيفتهم هذه باهتمام ومن القلب.

## المراحل النفسية

**يقسم الأطباء النفسيون الحزن إلى خمسة مراحل، وفق الآتي:**

الرفض والانعزال: «لا أصدق أن هذا يحدث معي».

الغضب: «لماذا أنا؟ لا يمكنني تحمل ذلك».

المساومة: «إن فعلت ذلك، هل سأتحسن؟»

الكآبة: «ما الفائدة؟»

القبول: «لا يمكنني فعل شيء تجاه ما حدث لي، لذا علي بذل المزيد من الجهد لتحقيق الأفضل».

لكن الاختصاصيين يقولون إن تسلسل الحزن هذا لا يسير بسلاسة. فالشفاء النفسي كالشفاء الجسدي، له جدوله الزمني الخاص.

وقد لاحظ خبراء بأن الاكتئاب، القلق، فقدان الأمل والميول الانتحارية هي عوائق شائعة في عملية التأقلم النفسي والشفاء، بالإضافة إلى معاناة الأشخاص الذين عانوا من حوادث صادمة من اضطراب ما بعد الصدمة، ومعدلات الاكتئاب المسجلة تتراوح بين 21– 35%.

## دعم العائلة والأصدقاء

يلعب أفراد العائلة والأصدقاء دوراً كبيراً في مساعدة المريض في التأقلم مع الإعاقة، أفضل طريقة للتعامل مع المريض هي العائلات التي كان رد فعلها متعاطفاً، ولكن في ذات الوقت استطاعوا المحافظة على مستوى توقعات مرتفع، من خلال الثقة بقدرته على الشفاء والتأقلم. أما بالنسبة لحالات التعامل الأسوأ، فأحد أمثلتها أن

تقدم العائلة والأصدقاء الكثير من المساعدة للمريض، فالتعاطف الشديد مع المريض من نمط: «يا عزيزي! لقد فقدت ساقك، دعني أقم بذلك عنك...» سيطيل مدة التعافي.

أحياناً يشعر أفراد العائلة بالخوف: «هل سيستطيع إعالة الأسرة؟»، وفقدان الأمل :»لا أدري ما الذي يمكنني فعله للمساعدة»، أو الكآبة: «لا أعرف إن كان بإمكاني الاحتمال». الأزواج بشكل خاص يعانون من مشاعر متضاربة، التواصل العاطفي هام جداً بالنسبة للمتعرض للبتر، وكذلك بالنسبة لعائلته وأصدقائه.

كما أن المعرض لعملية البتر قد يشعر بالذنب تجاه معاناة أسرته من الضغط بسبب حالته، فالقصور الجسدي غير الأدوار بين أفراد العائلة. الفواتير الطبية وفقدان العمل قد يعززان مشاعر لوم الذات لدى المريض، لذلك يقترح الأطباء النفسيون تجاوز لوم النفس والمشاعر الأخرى الهدامة، والتركيز على مواجهة تحديات جديدة.

## العمل واللعب

العودة للعمل بأسرع وقت ممكن أمر أساسي بعد عملية البتر، للحفاظ على الثقة بالنفس، والسعادة بشكل عام، ويؤكد الاختصاصيون أن الأشخاص الذين يعودون للعمل سيشفون بشكل أسرع من الذين يجلسون في المنزل.

كون الشخص منتجاً هي حاجة فطرية لدى الجميع، لذلك فإن فقدان العمل قد يشكل صدمة كبيرة، خاصة بالنسبة للذين يعتبرون أن وظيفتهم هي هويتهم. قد يكون البعض غير قادر جسدياً على الاستمرار في وظيفته السابقة ويضطر لتغييرها، وفي هذه الحالة يكون التأهيل المهني خياراً مطروحاً. وهذا أيضاً قد يكون مصدراً للكآبة، خصوصاً إذا كان الشخص يحب مهنته. ولكن ذلك قد يفتح عالماً جديداً من الإمكانيات. على العديد من الأشخاص الذين يعانون من إعاقة أن يثبتوا لأنفسهم الكثير من الأشياء، ومكان العمل هو مجرد تحدّ آخر. وهذا يعني أن على الشخص الدفاع عن نفسه، لذا عليه أن يعرف حقوقه القانونية، ويحتفظ بمصادر احتياطية تبرهن قدرته على أداء العمل. كذلك يعاني البعض من صعوبة في التقدم لوظائف جديدة، بسبب تحفظ أصحاب العمل تجاه إعاقة المتقدم للوظيفة.

يؤكد الخبراء على أهمية اللعب وصعوبته بالنسبة للأشخاص الذين تعرضوا لتجربة البتر، فالجميع يحتاج للعب، لا ينبغي أن يتعارض بتر الأعضاء مع ممارسة الرياضة والهوايات والنشاطات الترفيهية الأخرى. إن فوائد معاشرة الناس والنشاطات الحيوية واللهو كثيرة جداً، فالمشاركة في فعاليات مسلية يمكنها أن تعزز الشعور بالمنافسة عبر نقل التركيز من الإعاقة إلى القدرة.

## صورة الجسم والنشاط الجنسي

لدى المجتمع منظور ضيق وسخيف عن الجمال الجسدي، وخاصة بالنسبة للمرأة، مما يخلق أزمة حادة بالنسبة للشخص المتعرض للبتر، لأنه مهما حدث، يستحيل تحقيق معايير المجتمع للجمال. كما تعتمد صورة الذات الصحية على عدة أمور: مستوى تقدير الذات، الخبرة، منظور المجتمع والجنس، في المقابل قد يكون الأمر شخصياً بحتاً، بعيداً عن نظرة المجتمع.

إن شعور المتعرض لعملية البتر تجاه مظهره، أهم بكثير من المظهر الحقيقي بالنسبة للثقة بالنفس. يرى المتعرض لعملية بتر نفسه مختلفاً جسدياً وجنسياً، بالمقارنة مع الشخص غير المعاق، لذلك على الناس أن يعيدوا تعريف الجنس والانجذاب، وهي غالباً مهمة شاقة، بما أنها تخالف تعريف المجتمعات.

عندما تعاني النساء من فقدان الأطراف، فذلك يؤثر على مظهرهن الجسدي،

ونمط ارتدائهن للملابس، ويسبب إحساسهن بفقدان الجاذبية، وبالتالي الثقة بالنفس. وقد تعاني بعضهن من صعوبة في التأقلم مع الطرف الاصطناعي، بسبب شكله الضخم ومساميره وبراغيه، وشكل الجسد ككل بوجوده، والذي يصبح مختلفاً عما قبل الحادث جذرياً. ولدى الأمهات منهن معاناة إضافية، فصورة الأم المثالية تتغير لدى الأطفال، إذ تصبح غير قادرة على القيام بجميع مهامها، أو مشاركتهم نشاطاتهم الرياضية براحة تامة. وقد تشعر الأم بخوف من مدى قدرة أبنائها على تحمل شكلها بعد الحادث، فقد يخافون منها ومن ساقها أو يدها الصناعية الغريبة بالنسبة إليهم.

## صورة الذات والعمر

من الممكن أن يكون الطرف الصناعي جزءاً مكملاً لنظرة إيجابية للذات أو عائقاً، ويعود ذلك للشخص الذي يستخدمه. يقول الاختصاصيون إن الطرف الصناعي قد يستخرج قدرات شخص ما، لأنه يؤمن له إمكانية الحركة والحرية. ولكن ذات الجهاز قد يبدو كإعاقة لشخص آخر، لأنه يحرمه الحركة والحرية. لذا على اختصاصيي الصحة أن يكونوا على دراية تامة بعلاقة المتعرض لعملية بتر طرف مع الطرف الصناعي الخاص به، ومدى المساعدة الجسدية التي يقدمها له الطرف.

وغالباً ما تتزايد درجة صعوبة التأقلم النفسي مع عملية البتر بزيادة العمر. فالرضع الذين ولدوا فاقدين أحد الأطراف يتأقلمون على نحو مقبول لكونهم يتعلمون الاستفادة من أطرافهم الباقية أثناء نموهم. وكذلك الأطفال يتأقلمون بشكل جيد مع فقدان الأطراف واستخدام الطرف الصناعي برشاقة، لكنهم يشعرون بالحساسية، بشكل خاص من قبول أو رفض أصدقائهم لهم.

أما بين الشباب، فإن التجاوب مع فقدان طرف يعتمد على أسبابه ودرجة الإعاقة والتشوه الحاصل. هم يتمتعون أساساً بالهوية المكتملة، المرونة الجسدية والثقة الاجتماعية، لذا غالباً ما يتأقلمون بشكل جيد. لكن بالنسبة للأعمار الأكبر، تجتمع عوامل الانعزال الاجتماعي، العجز المادي ومحدودية العمل، لتزيد من صعوبة التأقلم مع فقدان الطرف.

هناك خلاف بين الاختصاصيين حول مدى الترابط بين العمر والنتائج العاطفية طويلة المدى للبتر. فالعديد من الدراسات القديمة انطوت على فكرة أن الكبار المتعرضين لعملية بتر كانوا أكثر عرضة للاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب، لكن دراسات حديثة قالت العكس تماماً. وفي كلا الحالتين، فإن التحديات الأصعب بالنسبة للشباب تتمثل في الهوية، النشاط الجنسي والقبول الاجتماعي، أما بالنسبة للكبار فتتمثل في الكسب المادي، القدرة الوظيفية والتعامل مع الناس.

# الأطراف الصناعية المستقبلية

## عندما تدخل الأعصاب في تكوينها

• ترجمة ليلى كريم

### الطرف الصناعية التعويضية العصبية:

في اللغة اليونانية القديمة تشير كلمة Neûro التي تعني «الأعصاب»، إلى جهاز مربوط بالجملة العصبية. يتم التحكم بهذه الأطراف الصناعية العصبية بشكل غير مباشر من قبل الدماغ، فهو يرسل إشارات كهربائية طبيعية من خلال الأعصاب (حركات، ردود أفعال، حساسية...) تترجم ويعاد إنتاجها من خلال الجراحة التعويضية العصبية.

الطرف الصناعية التعويضية الكهرو- عضلية:

في اللغة اليونانية القديمة كلمة Muos التي تعني «العضلات» تشير إلى الأجهزة المتصلة بالقوة الدافعة الكهربائية في العضلات، أي الطرف الصناعي الذي ينفذ الحركات على أساس الإشارات الكهربائية التي تنتجها العضلات.

واجهات التي تقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة Interface، تعني في عالم الكمبيوتر والإلكترونيات جهازاً يسمح بتبادلات وتفاعلات بين الأجزاء المختلفة التي يتكون منها.

### • الجسم يستعيد السيطرة

حتى الوقت الحاضر لم يتمكن الإنسان من التحكم بأجهزته بشكل كامل، لكنه يستطيع اليوم التحكم بها كما لو كانت أطرافه الصناعية أعضاء عضوية. أولاً، تعمل هذه الأجهزة بواسطة الاستشعار، كذلك الأطراف الصناعية الكهرو- عضلية التي ترتبط بالنبضات الكهربائية للعضلات، أو الاصطناعية الكهرو- عصبية التي ترتبط بالدماغ، كلاهما تصنفان على أنهما أطراف صناعية عصبية.

هناك أيضاً الأطراف الصناعية الكلاسيكية، التي ترتبط مباشرة على مستوى الأعضاء (عبر الأعصاب) أو على مستوى الدماغ. في هذه الحالة، ويتم تضمين هذا النوع من الأطراف الصناعية في مجال الزراعة الحيوية.

### • الواجهات الدماغية- الآلية

إن خيال جميع المهندسين، علماء الأعصاب، علماء الكمبيوتر، علماء الرياضيات والفيزياء، الأطباء، وكذلك مصنعي الأطراف الصناعية وغيرها من المجتمعات العلمية متعددة الاختصصات التي تعمل على دراسة الأطراف الصناعية العصبية، يهدف لإقامة اتصال بين جهاز إلكتروني وخلايا حية (خلايا عصبية أو أعصاب)، لتتمكن في المستقبل من استعادة الاتصال العصبي للمصابين أو المرضى، أو حتى

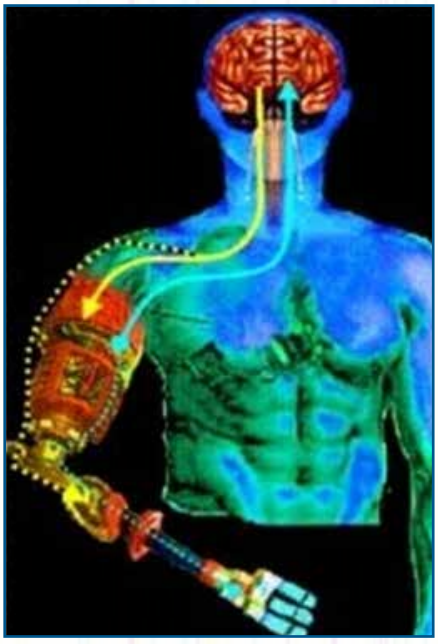

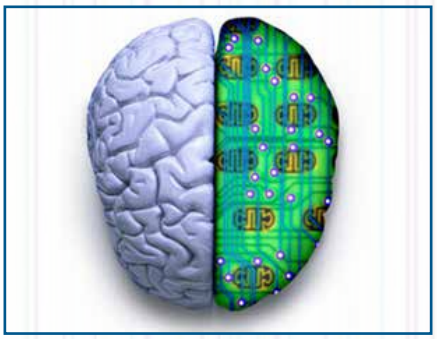

استبدال عضو حسي (جلد،عينين، أنف.. إلخ)،

واجهة بشرية- آلية تتيح التبادل بين الإنسان والآلة (صورة شعاعية)، هذا المفهوم يسمح بالتحكم بالطرف الصناعي.

### • الطرف الصناعي الكهرو- عصبي

للراغبين في الحصول على طرف صناعي دون الخضوع لعملية جراحية، هناك AMO، مفهوم «AMO» (العضلة الصناعية العاملة أوالعضلة الصناعية المُستغلة) أوجده اثنان من طلاب الدراسات العليا في جامعة رايرسون (كندا)، هما «ميشيل بريواتا» و«ثياغو كيريس». الطرف الصناعي ليس هو أول جهاز يستخدم مفهوماً ينطوي على تلقي وقراءة موجات الدماغ. لكن، وعلى عكس الأجهزة الأخرى التي تم إنشاؤها قبل ذلك، فهو لا يتطلب أي عملية جراحية.

في الواقع، حتى الآن، الأطراف الصناعية العصبية من هذا النوع تتطلب إعادة تعصيب (إعادة توزيع العناصر العصبية لجزء من الجسم) من عضلة قريبة من مركز البتر، وبالتالي ربط

الطرف الصناعي بالجهاز العصبي. لكن هذه العملية تطلبت عدة أشهر من إعادة التأهيل لكي يتمكن المرضى من استخدام أعضائهم الصناعية الجديدة بشكل صحيح.

يستخدم AMO»» أعراض الأعضاء الوهمية (الشعور بأن عضواً مبتوراً أو ناقصاً لا يزال مرتبطاً بالجسم ومتداخل مع أجزاء أخرى من الجسم).

تعمل مجموعة أخرى من الباحثين على واجهة جديدة في الدماغ – الحاسوب، (واجهة الدماغ الكمبيوتر BCI)، وهو كرسي متحرك ينفذ أفكار صاحبه. في الواقع، هؤلاء العلماء الإسبان من جامعة سرقسطة، في برنامج «تقييم الروبوتات الطبية الحيوية لمساعدة التنقل البشري»، في محاولة لاستعادة الحركة واستقلالية الأشخاص ذوي القدرة المحدودة على العمل عن طريق ترجمة أفكارهم. «خافيير مينغويز» وفريقه كانوا الأوائل في اختراع كرسي يتم توجيهه عن طريق الصوت، واليوم يحاولون الجمع بين المفهومين الذين يحتويان على خرائط وأجهزة استشعار ليزر، لتكييف الكرسي وفقاً للمحيط الذي يعبره. الجزء الأصعب الآن هو تصغير المعدات على نطاق البشري.

بعد ذلك، إذا وصل هذا المشروع إلى نهايته، يستطيع المشلول نطق جزء من المجال الخاص به، وستقوده الكرسي «إلى حيث يريد . على سبيل المثال: «اذهب إلى الصالون.»

هذا الرجل يتجول مابين الحواجز من خلال التفكير

## أجهزة الاستشعار العصبية

### • الأطراف الصناعية الكهرو– عضلية

مُسيطر عليها من خلال النبضات الكهربائية للعضلات، تسمح بسيطرة جزئية على الحركات.

الفيديو هو تقرير عن شركة TouchBionic التي تقوم بتصميم الأطراف الصناعية الكهرو–عضلية. هذا الفيلم الوثائقي يبين لنا ان الأشخاص المزودين بأطراف صناعية يمكنهم تنفيذ أعمال الحياة اليومية دون صعوبات كبيرة، ويمكنهم ارتداء الأطراف الخاصة بهم.

### • هل للأعصاب أيضاً بدائل صناعية؟

لم يصل الإنسان بعد إلى تحقيق الإنجاز بإعادة صياغة وظائف أحد الأجهزة، إنه الدماغ. يبقى الدماغ الجهاز الأكثر تعقيداً في جسم الإنسان، فهو منظم الأجهزة الأخرى والجهاز العصبي، لكنه يشكل أيضاً مركز الوظائف (عمليات التفكير).

نسمع الحديث اليوم عن الذاكرة الصناعية، مثل الكمبيوتر وقرصه الصلب، ربما يتمكن الإنسان يوماً ما من توسيع ذاكرته أو تطوير ردود أفعاله ومنطقه...

نحن نعلم كيف تعمل الخلايا العصبية، ونعلم أيضاً آلية تخزينها الفعلي والحسابي للمعلومات، لكننا لا نعرف كيفية إجراء الاتصال بين الإثنين، نعود إذاً إلى واجهات الدماغ –الآلة. ما هو مؤكد الآن هو أن الأطراف الصناعية العصبية ليست للغد.

### • البدائل الصناعية العصبية

على الرغم من تقدم البحوث في مجال الذكاء الاصطناعي، فإن النتائج لا تزال غير واعدة، لكن البدائل الصناعية العصبية بالزرع ترتبط أساساً بالأجزاء العصبية.

الطرف الصناعي العصبي هو آلية مكونة من أجهزة الاستشعار، ومن وصلات ورقائق الكترونية (صور شعاعية) مغروسة في الجسم لإصلاح بعض الإعاقات العصبية. تجري هذه الغرسات تحليلات حسابية (رامج) وتقوم باستعادة وظائف الأعصاب بشكل كامل أو جزئي.

هدفها تحسين نوعية الحياة وتأمينالراحة لأولئك الذين يعانون من اضطرابات عصبية، للمصابين بشلل نصفي، ولمبتوري الأطراف... حتى يتمكنوا من استعادة بعض التحكم الذاتي.

المصدر:

http://www.prothese-futur.sitew.com/Les_Neuroprotheses.C.htm#Les_Neuroprotheses.C

# إرادات لبشر يساهمون في صنع أقدارهم

• إعداد: محمد الجرف

في عام 1989، قدّم الفن السابع الفيلم الإيرلندي الشهير «قدمي اليسرى My left foot» من إخراج جيم شيريدان، ومن بطولة دانييل دي لويس. وهو مأخوذ من السيرة الذاتية للروائي كريستي براون.

كريستي براون روائي وفنان إيرلندي وُلد العام 1932، وتوفي عام 1981. ونشر سيرته الذاتية تلك في العام 1956، عندما كان له من العمر أربعة وعشرين عاماً، وكان قد كتبها قبل ذلك بسنوات، فما الشيء المميز في حياة براون (أحد أعظم روائيي إيرلندا، والبعض يقارنه بـ «جيمس جويس» الذي دفعه لكتابة سيرته في عمر مبكّر جداً؟

وحدها الإعاقة هي ما ميّز حياة كريستي براون، لذا لم تكن سيرة تقليدية كتلك التي يكتبها المشاهير ، بل كانت احتفاءً بـ «العجز والقصور»، بدلاً من التغني بالأمجاد والإنجازات، كما يقول «إبراهيم حاج عبدي» في مقالة نقدية عن الرواية.

وُلد «براون» في الخامس من حزيران عام 1932، وفور ولادته، أخبر الأطباء أباه أنّ ابنه مصاب بالشلل الارتعاشي (وهو ما يُعرف بمرض باركنسن Parkinson's Disease ، وهو يُصنّف كخلل ضمن مجموعة اضطرابات النظام الحركي، التي تنتج بسبب خسارة خلايا الدماغ المنتجة للدوبامين، المادة الكيميائية التي تتفاعل في الدماغ لتؤثر على كثير من الأحاسيس والسلوكيات بما في ذلك الانتباه، والتوجيه وتحريك الجسم. ويؤدي الدوبامين دوراً رئيسياً في الإحساس بالمتعة والسعادة والإدمان).

استيقظ براون على الحياة، ليجد روحه تقبع في جسد ميت لا تظهر منه للعالم الخارجي سوى ارتعاشات لا إرادية، وعينان براقتان، هاتان العينان اللتان انصب عليهما اهتمام والدته، فقضت جلّ وقتها وهي تحاول أخذ ردّ فعل طفلها منهما.

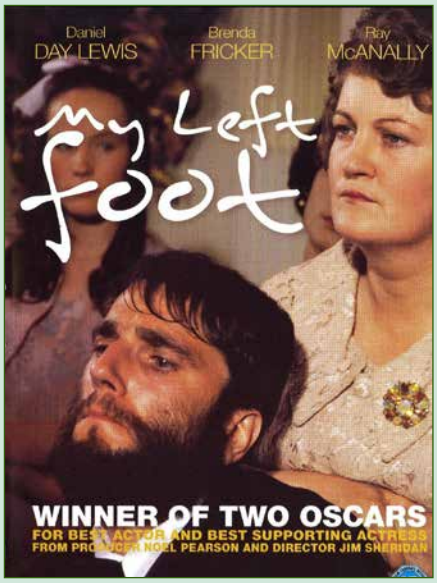


كرّس براون أجزاءً كبيرة من روايته لوالدته، فبراون كان واحداً من بين 22 طفلاً (الفيلم اقتصر على أربعة أطفال فقط!)، في بيئة فقيرة الأصحاء من أطفالها لا ينالون العناية المطلوبة، فما بالك بطفل شبه ميت لا يقوى على الحركة ولا الكلام.

لم تستمع زوجة البنّاء لتوصيات الأقارب بإيداع الطفل في مصحة عقلية، لإدراكها أن لا عناية توازي عناية الأمومة. فقد كانت الأم تجلس مع طفلها الذي لم يكن يستطيع إصدار أي صوت، بكل صبر، لتحاول أن تعلمه الحروف الأبجدية، ولكي تستحثه على الكلام، ورغم الجمود الذى كان يدفعها أحياناً إلى تركه وتذهب للبكاء في غرفتها، إلاّ أنها كانت تعود استجابةً لبريق عينيه.

لم يجعل براون من سريره بطلاً للرواية، بل أعطى هذه البطولة لمن يستحقها، لقدمه اليسرى، الجزء الوحيد الذي ينبض بالحياة في جسده الهش. وعند اكتشافه لها، تغيّرت حياته كلياً، إذ كانت قدمه هي بوابته إلى عالم المجد والشهرة. تعلق الفتى النحيل بالرسم تعلقاً جنونياً، وبدأ باستعمال قدمه اليسرى فقط، إذ لم يكن بالإمكان استخدام غيرها، لرسم اسكتشات سرعان ما تطورت إلى لوحات فنية كاملة ورائعة، كان أبرزها بروفايل لوجه أمه التي لم ينسَ تذكيرنا بفضلها على طول صفحات الرواية.

بعد مرحلة قصيرة، اكتشف براون أنّ الحياة أغنى من أن يُغطيها جانب فنّي واحد، فاتجه إلى كتابة الرواية والشعر، وابتدأ مسيرته الروائية بكتابة سيرته الذاتية.

رغم إنجازاته، إلاّ أنّ (العقل المتقد في الجسد الميت) ظلّ طاغياً على الرواية، فأتت سوداوية قاتمة، مليئة بالحزن العميق، يتساءل: «لماذا أملك احتياجات وأحاسيس الناس الطبيعيين في الوقت الذي أملك فيه جسداً عاطلاً من الناحية العملية؟». وتمضي الرواية في محاولة للإجابة على هذا السؤال القاسي: «لقد قالت لي المرايا الشيء الكثير، وأرتني ما الذي شاهده الناس في كل مرة نظروا فيها إليّ. قالت لي إن فمي، كلما فتحته كان ينزلق إلى الجانب، وكيف كان يجعلني أبدو قبيحاً أحمق. قالت لي إنني كلما حاولت أن أتحدث، كنت أبرر فقط بكلام غير مفهوم، وكان لعابي يسيل إلى الخارج، في حين يستمر رأسي في الاهتزاز والارتعاش. قالت لي إنني كلما حاولت أن ابتسم، كنت ألوي فقط قسمات وجهي وأجعد عيني، فيتحول وجهي إلى شيء يشبه قناعاً بغيضاً».

ورغم الشهرة والمكانة الكبيرتين اللتين حظي بهما في حياته، إلاّ أنه بقي يعاني من نظرات الشفقة «المُرّة الصادمة» فـ«شخص مثلي يحتاج شيئاً آخر غير العطف والشفقة، كالحاجة إلى القوة المنبعثة من حب إنساني أصيل يُمنح لأضعف القلوب».

غير بعيد عن «قدمي اليسرى» الشخصية، الرواية، والفيلم. يبرز فيلم آخر تناول حالة

أخرى من حالات الإعاقة.

«اليوم الثامن» فيلم بلجيكي إنتاج العام 1996، وإخراج جاكو فان دورمايل، ويدور حول «هاري» وهو رجل أعمال يعاني من مشاكل أسرية، يتورط في حادث يدفعه لمرافقة «جورج» المريض الذي يعاني من متلازمة داون (وهي متلازمة صبغوية تنتج عن تغير في الصبغيات حيث توجد نسخة إضافية من الصبغي 21 أو جزء منه، ممّا يُسبب تغيراً في المورثات. تتسم الحالة بوجود تغييرات كبيرة أو صغيرة في بنية الجسم، يصاحب المتلازمة غالباً ضعف في القدرات الذهنية والنمو البدني، وبمظاهر وجهية مميزة).

نلتقط حالة جورج المرضية مباشرةً، فهناك صفات مميزة للمصابين بتلازمة داون: صغر الذقن، وكبر حجم اللسان، واستدارة الوجه، ولكننا أيضاً، نلحظ ذلك النور المشع والأمان الداخلي على وجه جورج. كائنٌ حيويّ مليءٌ بالطيبة والملائكية، تلقائي لأبعد الحدود، منفعلٌ بالطبيعة، إذ إنّ جورج يعتقد أنه ما إن يلمس الشجرة، حتّى يتوحد معها ويصبحان، هو وهي، شجرةً واحدة.

لا حلم لجورج سوى أن يهبط من مرتبة الملائكية إلى رتبة البشر العاديين، أن يُعامله البشر ككائن اعتيادي، أن يصادق الفتيات، وأن يأكل الشوكولا بالدرجة التي يحبها.

على النقيض من شخصية «جورج»، يُظهر لنا الفيلم شخصية «هاري»، الأستاذ الجامعي المتخصص بالتسويق، إنسانٌ أنيق، مغرور، وناجح في عمله. وفي إشارة ذكية من مخرج الفيلم، نرى في أحد المشاهد هاري وهو ينصح طلابه بأن يُقلدوا حركات زبونهم حتى يتوحدوا معه إذا ما أرادوا النجاح في مهنتهم.

إذاً، يعتقد «هاري» أنه إذا اقترب من زبونه أكثر، فسيتوحد معه في شخص واحد، تماماً كما يؤمن جورج بأنّه إذا ما لمس الشجرة فسيتوحد معها، ويُمثّل السوق بالنسبة لهاري ما تُمثّله الطبيعة بالنسبة لجورج.

يلتقي «جورج» و«هاري» صدفةً في رحلة جورج باتجاه أمه التي تأخرت عليه كما تأخر هاري عن ابنته، ولا ينعم هاري بالسلام الداخلي إلاّ بعدما اقترب من جورج: وحيدان يسيران على طريقٍ واحدة.

لا أحد ينعم بالسلام الداخلي كما ينعم به المبرمج السوري «خلدون سنجاب».

في عام 2010 طلبت إحدى الشركات السورية الخاصة مبرمجين للعمل لديها، وكانت إحدى السير الذاتية الواردة تتضمن هذه الملاحظة «لا أستطيع الدوام في مكتب، أو القدوم لإجراء مقابلة أو التحدث على الهاتف، أرجو التواصل معي على الإنترنت».

مهنة مُقدم الطلب حسب السيرة الذاتية هي «مدير سيرفرات لينكس منذ 5 سنوات ومبرمج منذ 18 سنة»، أما سبب ملاحظته فهو أنه «مصاب بشلل رباعي ومتصل بجهاز تنفس اصطناعي»، ويأمل الحصول على الوظيفة «بسبب مؤهلاته وليس بسبب ظرفه الخاص».

في صيف عام 1994 نال خلدون الشهادة الثانوية بمعدل ممتاز مكّنه من دخول كلية الطب البشري، وكمكافأة على هذه النتيجة الباهرة، ذهب مع عائلته إلى طرطوس. وهناك، ارتطم رأسه في صخور الشاطئ، مما تسبب بشلل رباعي في كافة أطرافه، إضافة إلى شلل في الحجاب الحاجز. كان عمره حينذاك سبعة عشر عاماً، ومن يومها وهو يعيش على السرير، مستعيناً بمنفسة اصطناعية لا يستطيع الاستغناء عنها أبداً.

ساعده أصدقاؤه على تصميم «ماوس» خاص يُمكنه تحريكه بلسانه (العضو الوحيد الذي بقي يعمل) وشفته السفلى، وتم تثبيت الكمبيوتر فوق السرير، وبدأ يعمل لحسابه الخاص في

مجال البرمجة.

لديه أحلام لا حدود لها، وحلمه الكبير هو تأسيس شركة كبيرة تُضاهي مايكروسوفت، يقول: «خطيت الخطوة الأولى باتجاه حلمي». ويضيف: «استأجرت مخدماً إلكترونياً (سيرفر)، وبدأت أحجز للزبائن وأتعامل معهم باسمي الشخصي وليس كموظف لدى شركة، ما أتاح لي حرية الاختيار واتخاذ القرارات، كما صممت موقعاً إلكترونياً خاصاً بي يزوره دائماً الكثير من الزوار، ورغم أن البداية كانت متعبة خاصة مع الخسارة المادية التي منيت بها وقتها»، ولكن ذلك لم يثنيه، فالعمل الخاص: «يزيد من الثقة بالنفس ويمنح متعة كبيرة جداً».

منذ بعض السنوات، جاءت «يسرا» إلى خلدون لمساعدته في دروس الشهادة الثانوية، لتصبح العلاقة بعد الدرس الخامس حباً تُوج بالزواج.

وهكذا اكتملت حياة خلدون، وأصبح أباً لطفلة «يسرا»، وهو الفخور بأنه لم يلجأ لمساعدة مادية من أحد لتكاليف الزواج، بل جمع سعر البيت واشتراه من دخله الخاص الذي سدد منه أيضاً كل تكاليف الخطوبة والزفاف والاحتفال، يقول خلدون: «كل شيء صار أجمل، زاد إحساسي بالسعادة والاستقرار، وستكتمل فرحتي عندما نرزق بالطفل»، الذي سيكون طفل أنبوب حسب زوجته.

خلدون الآن مبرمج معتمد للعديد من الشركات السورية الخاصة، ومصمم لبرامج ثلاثية الأبعاد خاصة بمحطات تلفزونية تُعنى ببرامج الأطفال، بالإضافة إلى دروس خاصة لكل من يحتاجه.

يعاني خلدون الآن (لا أدري إن كان قد غادر سوريا، لحد الـ 2013 كان ما يزال في ريف دمشق) ما يعانيه السوريون جميعاً، انقطاع التيار الكهربائي يتسبب بتوقف المنفسة عن العمل، فتقوم زوجته بتأمين التنفس عن طريق المنفسة اليدوية، تبقى تضغط عليها طوال فترة انقطاع الكهرباء.

في قصة «جورج»: الطبيعة هي البطل.

في قصص كقصة «كريستي براون» و«خلدون سنجاب»، لم يكن السرير هو البطل.

# الذراع الأيسر وحده حرّ

• خوشمان قادو

في الحي الغربي بمدينة قامشلو على الشارع العام، بالقرب من جامع «قاسمو»، يرشّ «محمد خير» الماء عن طريق إبريق بلاستيكي أحمر اللون بيده اليمنى، دون أن يستطيع أن يرشّ الماء بأصابع يده اليسرى، مستخدماً آلية الرأس المثقوبة المركّبة على فاه الأبريق.

«محمد خير» البالغ من العمر حوالي 42 سنة، وفي صبيحة كل يوم، يأتي إلى دكانه الصغير ذي السقف الخفيض (خمسة دكاكين على استقامة واحدة، متماثلة ووحيدة على طول هذا الشارع)، ليستلم الخضار من السيارة التي تجلب له ما يوصي به صاحبها في الليل، كُمُّ ذراعه الأيسر يبدو فارغاً مثل الكيس الذي يناوله بيده اليمنى إلى من يريد أن يملأه بما يبتاعه، الفراغ المتكور في كمه لا يبطل مهمة الجاذبية، إذ يبدو مستقيماً مثل ميزانه المنهك.

الطرف المبتورة عند «محمد خير» لم تخلق لديه مشكلة في هذه الحياة، ولم يشعر أبداً بإعاقة تمنعه، جسدياً، من تحمّل مسؤولياته تجاه نفسه وعائلته، هو مؤمن دوماً بأنّ يداً واحدة قادرة على القيام بكل الأفعال التي نقوم بها بكلتا يدينا، حيث الإرادة تعوّض عن فقدان إحداهما، يقول دون أن يلتفت إليّ: «على الإنسان ألا يقف عند إعاقة جسدية، أو الولوج إلى شعور اليأس والإحساس بالنقص وعدم المقدرة على فعل أي شيء، لأن هذه الحالة هي الإعاقة الحقيقية بحد ذاتها».

من السهل أن تجالسه في حيّزه الصغير المليء برائحة الخضروات والتراب الندي، إثر سقوط بعض قطرات الماء على أرضية الدكان وكذلك الجدران الترابية، دون أن يرتاب من النظرات المحدقة بكمه الأيسر المتدلي، والذي يظهر أنه أجوف حين يحاول ترتيب حبات البندورة وجرز البقدونس، لكن استدراكه لما تريده منه كصحفي يمنعه من الكلام، ويضفي على المشهد لحظات متقطعة من الصمت. في اللحظات الأخرى كان يحكي لي ما يريده هو، على فرض أنني أحد الزبائن، هذا ما حصل معي تماماً حين جربت الاستفسار عن كيفية فقدانه لذراعه الأيسر، كما رفض أن آخذ له صوراً، متحجّجاً بقِدم دكانه وأني أريد أن أُأرشفه. كل الصخب والضوضاء المنبعثة من طريق عامودا (الاسم الشائع للشارع العام في الحي الغربي) لا تستطيع أن تطفئ هدوء وجهه، ابتسامته ووجهه السمح يضفي على هذا الحيّز المكاني أصالة الحي نفسه، على يساره ببضعة أمتار يوجد كافيه نت، أمامه يجلس الشبان وهم منهمكون بأجهزة هواتفهم النقالة بكلتا اليدين، «محمد خير» طبعاً لا يحسدهم، لكنه ينزعج من الاستخدام المبالغ لليدين ووظائفهما: «يستطيعون أن يستثمروا هذه الطاقة في أشياء أخرى، يجب أن يستفيدوا من كمال أجسادهم»، حسب تعبيره.

قامشلو - خاص سيدة سوريا

«محمد خير» شاهد حي على أولى المظاهرات التي خرجت في مدينة قامشلو، كذلك كانت عيناه تراقبان عن كثب تشييع العشرات من المقاتلين والمقاتلات الكرد من جامع «قاسمو» الذي يقع على يمين حيزّه ببضعة أمتار، هذا الجامع الذي لطالما كانت له قيمة وقدسية (بعيداً عن المفهوم القيمي الديني للجامع) لدى مواطني هذه المدينة، اتسم اسم هذا الجامع بمعانٍ عديدة في ذاكرة هذا الحي تمتد إلى العشرات من السنين، لذا «محمد خير» فخور جداً ببضعة الأمتار المربّعة التي تُحيّز دكانه في هذه الموقع الجغرافي، علاوة على أنه من سكّان هذا الحي أيضاً.

«Xwediyê bi destekî» أي صاحب اليد الواحدة، كما ينادونه في محيطه، طبعاً هذه التسمية هي لقبٌ للتمييز فقط، دون أن تكون لها مدلولات تُسيء إلى شخصية «محمد خير»، الذي انسجم هو نفسه كثيراً مع هذا اللقب «نعم ينادونني بصاحب اليد»، يقولها وهو يضحك، ويحرك كُمه الأيسر الفارغ مستخدماً جذعه، فيما يحمل بذراعه الأخرى سيجارةً توشك أن تنطفئ.

كل من يمرّ أمام الدكاكين الخمسة هذه، لا يستطيع إلا أن يلتفت إليها، صغر الأبواب يستوجب الكثير من التحديق والإمعان. في أحياناً كثيرة، الجالسون أمامها يتصرفون هم أيضاً بنفس الطريقة مع المارة، صاحب اليد الواحدة، وبحكم عمله الذي يتطلب منه الحركة وعدم إمكانية الجلوس كثيراً أمام دكانه، هو الاستثناء في هذه الظاهرة. «محمد خير» يبتعد عن الأحكام المسبقة بحق الناس، فنظراتهم لا تربكه أبداً، بل على العكس يتجاهلها، لأنه أصلاً مؤمن بالشكل الجسدي الحالي، ولا يُفسّر تلك النظرات بأنها متوجهة إلى عدم امتلاكه لإحدى الأطراف، يقول: «دعهم ينظرون، ربما لديهم شغف لهكذا دكاكين مبنية من الطين، ربما هذه الأبواب الخشبية القديمة تشدّ انتباههم».

في مثل حالات الإعاقة هذه، ذوو الإيمان والإرادة فقط يتغلبون على حاجة عضو ما باستخدام أعضاء أخرى، أو ابتكار طرائق غير معتادة للتعويض عن فقدان إحدى الأطراف، سيما في مجتمع ودولة لا يعيران أي اهتمام لأناس كثيرين مثل «محمد خير»، ناهيك عن الظروف المعيشية الصعبة التي يمرون بها. «محمد خير» لم يكن لينتظر أن تقدم له الدولة يد العون والمساعدة، لأنه يُدرك تماماً فساد نظام دولته، لذلك آثر بكل طاقاته وإمكانياته أن يبني عائلة تستطيع أن تعطيه أكثر من ذراع.

قامشلو - خاص سيدة سوريا

قامشلو - خاص سيدة سوريا

# العدالة الانتقالية في سوريا وقضية جبر الضرر

• سحر حويجة

فظيعة تلك الجرائم التي لحقت بالشعب السوري، لم يتعرض لأهوالها شعب آخر منذ الحرب العالمية الثانية، جرائم شاملة كما العنف الشامل الذي يضرب البلاد، أعدادها كبيرة نسبة لشعب تعداد سكانه حوالي 22 مليون نسمة، لا إحصائية دقيقة لعدد من قضوا نتيجة العنف الدائر، وإن كانت هناك مصادر تشير إلى أكثر من نصف مليون قتيل، وحوالي مائتي ألف مفقود ومئات آلاف المعتقلين، لقد تنوعت الجرائم، من جرائم الحرب التي تلحق بالمدنيين نتيجة الاقتتال الدائر والقصف العشوائي من قبل النظام، إلى جرائم ضد الإنسانية تأخذ وصفها من اتساعها ومن الأعداد الكبيرة للمتضررين المدنيين الذين تصيبهم هذه الجرائم، ناهيك عن الإبادة الجماعية التي تستهدف جماعة معينة من السكان، نتيجة الانتماء الطائفي أو المناطقي كما جرى في مناطق حمص المختلفة، وأيضاً ما تمارسه القوى المتشددة نتيجة ردود أفعال أو قصداً بحق أبناء مناطق وطوائف يسمونها موالية، أضف أنه لم تنج عائلة سورية من مصاب أليم لحق بالأشخاص والممتلكات من الموت إلى السجن حتى الفقر المدقع، بعد تدمير الممتلكات، وفقدان الأعمال، والعاهات الدائمة التي لا علاج لها، والإيذاء المعنوي، نتيجة خسارة الأبناء ونتيجة التعسف والظلم، إضافة إلى الخطف، والسرقة، واللجوء القسري والنزوح.

اللافت أن كل هذه الجرائم ذات الوصف الجنائي لم يلاحق مرتكبوها، ولا يجرؤ ضحاياها على رفع دعوى أمام القضاء السوري المختص، حتى لو كان الجاني معروفاً، اللهم إلا في حالات السرقة العادية. يعود هذا لحسابات سياسية بعد تعطيل القانون نتيجة الفوضى وحروب الإلغاء الدائرة، حيث إن قانون القوة هو الساري، و الحل الشخصي لا قيمة له، ناهيك عن الخوف من الشكوى ضد عناصر النظام التي تقوم بأعمال الخطف أو السرقة، حتى صدور قرار الحصانة وعدم تنفيذ عقوبة بحق ما يسمى الدفاع الوطني كونهم في حالة الحرب.

هذا يقودنا إلى أن الشعب الذي يأمل بنهاية هذه المأساة، التي لن تنتهي إلا بعودة الحقوق، وسبل العيش الكريم، مع الإشارة أن الخوف أخذ يدب من جديد في أوصال المجتمع السوري، من مستقبل يلفه الغموض وحاضر تعجز الكلمات عن وصفه، حتى أصبح الوضع السوري مأساة القرن الحادي والعشرين، وصل إلى حالة اليأس من تعويض المتضررين جراء هذه الحرب التي لا تعرف نهايتها بعد تدويل الصراع، فالدول التي دخلت دوامة القضية السورية لم تحرك ساكناً أمام الجرائم التي اقترفها النظام والمعاقب عليها وفق القانون الدولي الإنساني، حتى دخلت البلاد مرحلة أخرى من الصراع وباتت مهددة بالتقسيم والشرذمة. تلبية للمصالح الخاصة التي نمت نتيجة تأجيج الأحقاد، رغبة في الانتقام، وإلغاء الآخر، في محاولة نسف إرادة المجتمع نحو تأسيس مجتمع المواطنة والعدالة وحقوق الإنسان. وإن كان الأمل في الوصول إلى حل تحت مسمى العدالة الانتقالية، **فهذا النوع من العدالة يحتاج إلى شروط حتى يمكن العمل وفقها، أولها:** وقف العنف، **ثانيها:** تحقيق تسويات بين أطراف الصراع غايتها تحقيق المساواة بين المواطنين في القانون، وفي الحقوق والواجبات، في مواجهة المشاريع الضيقة والفئوية التي تقوم على التمييز على أساس الدين أو الجنس أوالإثنية. إن إعادة الإعمار وعودة اللاجئين، والتعويض عن الأضرار، هي حقوق ثابتة للمتضررين، حيث يعلم الجميع أن أي طرف مهما امتلك من قوة لن يحقق هذا بمفرده، وكلنا يعلم أن القوة المادية للنظام أو قوى المعارضة المسلحة مصدرها الدعم الخارجي، بعد أن استنزفت البلاد في حرب طويلة، وهكذا فإن إعادة البناء والتعويض وجبر الضرر لن تصمد دون عدالة انتقالية ينظمها قانون عادل يعيد الحقوق،

يسبق قانون العدالة هذا تشكيل سلطة معترف بها من الشعب، غايتها تحقيق هذه العدالة ولأم الجراح، ولن تقبل سلطة ما أن تكون حيادية، ولن تقبل أي سلطة أعضاؤها متهمون بجرائم بحق الشعب السوري، أو سلطة تقوم على التطرف والتشدد الأيديولوجي أو المصالح الخاصة، لأن العدالة عند الديكتاتورية أو القوى الطائفية تقوم على التمييز، والمحاباة والولاءات الخاصة.

إن المؤسسات المدنية، وقوى المجتمع المدني هي الضمانة لنجاح أي عدالة، لأن مصالحها ترتفع على المصالح الخاصة الفئوية، على الرغم من أن تكلفة إعادة البناء وتعويض الضرر ستكون خيالية فوق طاقة أي طرف دولي، هذا ما يفتح المجال أمام تدخل دولي بسبب المانحين لإعادة الإعمار، وهذه القضية مرهون نجاحها برقابة المجتمع المدني وتنظيماته، لقطع دابر الفساد والتدخل في شؤون المجتمع السوري.

لكن هل يتمكن المواطن السوري (الذي تعرضت حقوقه في الحياة والملكية للتعدي والتخريب والتدمير) من الوصول إلى حقه في التعويض عن طريق القانون أو القضاء السوري إذا ما استمر النظام في الحكم؟ إن السلطة التي تعتبر نفسها في حالة حرب ضد الخارج وأعوانه في الداخل، ولم تعترف بالجيش الحر ووصمت أفراده بالإرهابيين، أحد أهدافها هو حماية نفسها من المساءلة القضائية بما يخص أملاك المواطنين ونهبها، باعتبار أنها تشن حرباً، وهذا يعتبر عملاً من أعمال السيادة في القانون السوري، حيث درج القضاء في أحكامه (على عدم اختصاصه)، للنظر في موضوع تبين أنه يدخل في نطاق أعمال السيادة، على اعتبار أن أعمال السيادة خارجة عن ولاية القضاء، هذا ما نص عليه قانون مجلس الدولة في المادة 2، حيث لا يختص مجلس الدولة بهيئة قضاء إداري تنظر في الطلبات المتعلقة بأعمال السيادة. أيضاً نص عليه قانون السلطة القضائية بالقول: «ليس للمحاكم أن تنظر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في عمل من أعمال السيادة.. في جميع التشريعات، حيث يعتبر إعلان الحرب وما يترتب عليها من آثار عملاً من أعمال السيادة، وبمقتضى تلك القواعد تنتفي مسؤولية السلطة عن الأعمال التي تجريها مهما كانت الأضرار التي تلحق بالأفراد، وعليه لا تتحمل الدولة أي تعويض نتيجة الأعمال الحربية، إن كانت الأضرار نتيجة مباشرة وحتمية لأعمال

القتال»، وقد جاء في قرار لمحكمة النقض في سوريا رقم 113 في 13 شباط 1978 أن «الأعمال المترتبة على الحرب والتي تلحق ضرراً بالمواطنين من هدم بيوتهم أو تخريب ممتلكاتهم تعتبر من أعمال السيادة». غير أن السلطة وبهدف محاصرة الجيش الحر في أماكن تواجده، عمدت في الوقت ذاته إلى الإعلان عن تعويضات للمتضررين بسبب الأحداث الجارية، تحت عنوان «أضرار سببتها العصابات المسلحة»، أي تحميل مسؤولية كل ما يجري للمعارضة المسلحة، ومن نافل القول إن التدمير والنهب نال من المواطنين الموالين وليس المعارضين فقط، غير أن التعويض إن تمكنت منه السلطة (كما في حال استمر حكمها وهذا بعيد المنال) لن يشمل سوى الموالين، الذين يحمّلون كامل المسؤولية عن الأضرار للمعارضة المسلحة بوصفهم إرهابيين وليسوا معارضين، وستتحول قضية التعويضات إلى فرصة للولاء والطاعة وإعادة التحكم والسيطرة من قبل النظام على المجتمع السوري.

ولا يختلف الأمر كثيراً حيث تسيطر القوى المسلحة، خاصة المتشددة، والتي لم تعتمد المحاكم الثورية والقانون الدولي الإنساني سبيلاً لها في القضاء، بل اعتمدت محاكم شرعية عززت من القوى المتشددة، التي تعتبر ما تأخذه من أموال المدنيين الموالين في المناطق التي تخرج عن سيطرة النظام «غنائم حرب»، وتعتبر من يتم اختطافهم أو اعتقالهم من قبلهم «أسرى حرب».

# سوريو الشتات في بريطانيا يتّحدون لبناء السلام في بلدهم

• إعداد: إميليا سميث
فريق ترجمة سيدة سوريا

ريم الأصيل، إحدى الناشطات السوريات، والتي بدأت نشاطها مع أول شرارة للثورة السورية في آذار 2011، هربت من سوريا في تموز من العام ذاته، بعد أن تم اعتقالها واستجوابها مرتين في العام ذاته. ذهبت بداية إلى فرنسا لإتمام دراساتها العليا والحصول على الدكتوراه، وبعدها انتقلت للاستقرار في بريطانيا، وكان السبب في سهولة نقلتها هذه، لحسن الحظ، هو أنها تحمل جنسيتين.

على الرغم من حقيقة كون السيدة «الأصيل» داعمة فعلية لقضايا الحرية، العدالة والكرامة في سوريا باستخدام الوسائل السلمية، إلا أن والديها تعرّضا للعنف، وتمّت مداهمة منزلهما في دمشق مرتين، نتيجة لنشاطها. تقول ريم: «لقد كانت السنتان الأخيرتان هادئتين نسبياً»، ولو كان لها دور في أي نشاطات عنفية، أو انخرطت في الجماعات المسلحة، لكان الأمر أسوأ بكثير بالنسبة لهما.

بالإضافة لكونها ناشطة بشكل دائم، فقد أسست الأصيل مع زملائها مشروع «المترجمون السوريون الأحرار»، وهو عبارة عن فريق من الشباب والشابات السوريين، الذين يطمحون إلى تقديم المعلومات حول الصراع في سوريا بشكل مستقل، بعدة لغات، ودون أي انحياز، كبديل لوسائل الإعلام المتداولة، التي غالباً ما يتمّ التلاعب بها. فقد تمّ، على سبيل المثال، توثيق أحداث الهجوم بالأسلحة الكيماوية من قبل عدد من المواطنين الصحفيين، المتواجدين داخل سوريا العام الماضي، ما يعني أنه كان ينبغي ترجمتها وتقديمها للمجتمع الدولي. كما أن هناك حاجة ملحة لوجود مترجمين يقومون بترجمة الأفلام الوثائقية داخل سوريا، بحيث لا يتم تجييرها لصالح وكالات أنباء النظام.

على الرغم من أن «الأصيل» قد وفدت إلى بريطانيا، كنتيجة مباشرة للنزاع الحاصل في سوريا، فإن هجرة السوريين إلى بريطانيا يمكن

تقول «ريم الأصيل» إن التركيز على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، قد أثر على جهود جمع التبرعات، حيث أحجم الكثيرون عن التبرع لدعم القضية السورية، لأنهم لا يدركون ما يحصل في سوريا حقيقةً.

إرجاعها إلى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، حيث جذبت تجارة القطن في مانشيستر اهتمام السوريين من حلب ودمشق، معقل تجارة المنسوجات في سوريا، والعديد منهم ما زالوا يملكون مصانع في شمال المملكة المتحدة. قسم آخر من سوريي الشتات وصلوا إلى بريطانيا قبل سنوات قليلة من بدء الثورة، لكنهم كانوا يعيشون منعزلين عن بعضهم البعض، وعندما اندلعت الثورة السورية عام 2011، قامت بتجميع هؤلاء السوريين مع بعضهم، سواء أكانوا تحت خيمة المؤيدين للنظام، أو خيمة المعارضين له.

أما «هيثم الحموي» فقد وصل إلى المملكة المتحدة لتحصيل الدكتوراه من جامعة مانشيستر عام 2007، لكنه لم يلتقِ بأي من السوريين إلا بعد اندلاع الثورة، ليتحدثوا في أمور السياسة ويحتجوا أمام السفارة السورية. فقد كسر تحدي سلطات الأسد في سوريا حاجز الخوف لدى الكثيرين، يقول «الحموي»: «لقد كان الحصار مطبقاً بالكامل ما قبل عام 2011، لم يكن أحدنا يعرف الآخر، باستطاعتك القول إنه لم يكن هنالك مجتمع مدني في سوريا، لم يكن الناس يتحدثون إلى بعضهم، كانت هنالك حالة خوف دائمة من أنّ أي شيء يقومون به، قد يرفع به تقرير إلى الحكومة، لم يكن الناس يستطيعون أن يعبّروا عن أفكارهم أمام أيّ كان!».

وبعد وصوله إلى المملكة المتحدة بأربع سنوات أصبح «هيثم الحموي» يشغل منصب مدير لمنظمة «أعد التفكير لإعادة بناء المجتمع»، والتي تم تأسيسها في مدينة مانشيستر، تعمل المنظمة كمظلة تجمع تحتها كل السوريين في مدينة مانشيستر، الذين يقومون بدورهم بالتأثير على

الحكومة البريطانية. كذلك تقوم المنظمة بإدارة عدد من البرامج التعليمية والتثقيفية، التي تركز على بناء وإدارة مدارس تعمل في الداخل السوري.
يقول الحموي: «نحن متيقنون من أن ما يجري الآن سوف يؤثر في الجيل القادم، الذي سيأخذ على عاتقه مهمة إعادة بناء سوريا».
بعد عام 2011، انتشرت ظاهرة المنظمات الأهلية، بعضها قام لدعم المعارضة مباشرة، فيما توجد سواها في مناطق واقعة تحت سيطرة النظام، الأمر الذي راح يثير الشكوك فيما يتعلق بأفراد آخرين في المجتمع، بعضها ساهم في إيصال المساعدات إلى البلد التي مزقتها الحرب، بمساعدة وسطائهم، أصدقائهم وأهاليهم الذين ما يزالون متواجدين هناك، فسوريا بحاجة ماسة وفعلية للمساعدة. ما يزيد على 200 ألف سوري قتلوا منذ بداية الثورة في شهر آذار من عام 2011، أكثر من ثلاثة ملايين هربوا من البلد، وستة ملايين آخرون نزحوا إلى مناطق أخرى داخل سوريا.
ومع ذلك، وبالرغم من جهودهم الحثيثة، من جهة نظر الأفراد البريطانيين، فإن المجتمعات السورية غير متناغمة، يقول «الحموي»: «إن واحدة من أهمّ مشاكلنا في سوريا، هي أننا كنا تحت سلطة نظام ديكتاتوري قرابة خمسين عاماً، فلا وجود لدينا لمجتمع مدني، أو منظمات أهلية، لهذا وجدنا صعوبة كبيرة في العمل مع بعضنا يداً واحدة، لكننا نحاول أن نتعلم».
إن الخوف من مخبري النظام وأفعالهم الانتقامية لم يَزُل بشكل كامل، خاصة عندما يتعلق الموضوع بنشاط للمجتمع الأهلي، حيث تكون «في وجه المدفع»، كما تقول «ريبيكا كروزير» (من منظمة جرس الإنذار العالمية): «لقد أنشئت منظمة للتبرعات من خلال بناء السلام»، حيث تقوم

ريبيكا بتجربة برنامج جديد، يهدف إلى التقريب بين السوريين في الشتات على أراضي المملكة المتحدة، ولكن «ما زال هنالك موروث الخوف الذي يمنع الناس من التحدث بصوت عالٍ».
ويسعى البرنامج إلى إيجاد خطاب يساعد السوريين في الشتات داخل أراضي المملكة المتحدة، لكي يحصلوا على دعم أكبر، بغية زيادة المبالغ المحتملة من أجل إعادة بناء السلام في البلد. يقولُ «طاهر زمان»، والذي شارك سوريي الشتات في عمليات البحث والدراسة خلال عمليات التحضير للبرنامج، إن هذا الضعف في التنسيق يتسبب في تردد المنظمات في الانخراط بشكل جدّي في أي مشروع، والتأثير على سياساتها تجاه سوريا.
بالنسبة للسيد «حموي»، فإن معظم النقاشات التي تدور في المجتمع حوله، تتمحور حول كيفية بناء السلام في سوريا، وآلية إدماج جميع الأحزاب السورية في هذه العملية، لذلك كان من الطبيعي أن يكون لمنظمة «ريثينك — ريبيلد بيس» دور في هذا البرنامج الجديد، والذي انطلق من فرضية أن السوريين في الشتات يستطيعون أن يتوصلوا إلى نتائج أفضل، فيما إذا قاموا بالتنسيق والعمل مع بعضهم، أو كما طرحت السيدة «الأصيل» بعبارة أفضل: «نحن أفضل حالاً حين نكون معاً».
بالتوازي مع تجميع الفرق والزمر المنتشرة في أرجاء المملكة المتحدة، سيقوم البرنامج بتأمين منابر توجيهية للسوريين العاملين في هذه المنظمات، فالعديد منهم كانوا أطباء، مهندسين أو أصحاب محال تجارية قبل أن يبدؤوا بإدارة هذا النوع من المنظمات، حيث يقوم مندوبون عن هذه المنظمات باللقاء كل شهرين لمناقشة بعض القضايا التي قد يستطيعون معالجتها سوياً، كمسألة كيفية تأمين التعليم للأطفال ضمن الظروف الحالية.

وبعيداً عن البرنامج، هناك جزء مهم من قضايا سوريي الشتات في المملكة المتحدة، هو قضية مجتمع الفنانين السوريين، فالعديد منهم تم استهدافهم من قبل النظام، بسبب طبيعة عملهم، ولهذا كان عليهم الهرب من البلاد، رغم المخاطر الكبيرة التي تحف رحلتهم.
الفنان التشكيلي «طارق طعمة» وفد إلى لندن نهاية عام 2005، وكان في الأصل قد قدم لدراسة الطب قبل أن يغير مجال اختصاصه، ويدرس دبلوم ما بعد التخرج ودرجة الماجستير في اختصاص الفنون الجميلة. وكما هي حالة السيد «الحموي» في مانشيستر، فإن السيد طعمة لم يبدأ بالتواصل مع سوريي الشتات بشكل فعلي إلا بعد اندلاع الثورة السورية عام 2011، حين كانوا بصدد التجمع من أجل الاحتجاج خارج مبنى السفارة السورية.
يقول طعمة: «ينتابك شعور مريع وأنت جالس تراقب ما يجري هناك في بلادك، شعور شبيه بالشلل. ليس باستطاعتك القيام بشيء، وأنت مجبر على مراقبة ما يجري، مسألة ليست سهلة على الإطلاق!».
وقد قام الفنان التشكيلي طارق طعمة بتشكيل قطعة فنية لصالح منظمة دولية تدعى»إنترناشيونال أليرت»، وتعني قرع ناقوس الخطر في وجه

الكارثة، ضمن مشروع «الفن من أجل السلام». العمل الفني مستوحى من لوحة بيكاسو «غيرنيكا»، وهي لوحة تحاكي القصف الذي استهدف بلدة الباسك، غيرنيكا، خلال الحرب الأهلية الإسبانية.

يقول السيد طعمة: «بحسب رؤيتي، فإن الصراع في سوريا يجري ضمن نفس سياق الصراع الذي خرجت منه غيرنيكا، أتحدث عن هذا التشابه على مستويين: سياسي وفني، رؤيتي الخاصة هي أن الحرب الأهلية الإسبانية مشابهة تماماً للحرب الأهلية السورية التي تحدث الآن، فحين كسب الجمهوريون الانتخابات الحكومية، والتي قوبلت بالصمت من قبل المجتمع الدولي، وبشكل أساسي من قبل الشعب الإسباني الذي تم ذبحه فيما بعد، خاصة في غيرنيكا، تلك كانت من أوائل معارك التفجير التي تدار على أرض الخصم، عبر التاريخ».

وبحسب طعمة، فإن الفن ينقل تركيز الانتباه عن القتل، ليركزه على الناس، يقول: «الفرق شاسع بين أن تحمل بندقية، وأن تمسك بفرشاة، يجب أن تجذب الانتباه إلى الناس التي تمسك بالفرشاة».

ويتابع السيد طعمة قائلاً: «إن الفن يوجه الانتباه إلى الجانب الإنساني من الأزمة، أكثر من الجانب السياسي لها، من أجل أنسنة المأساة والتعامل مع الشعب السوري كبشر، فالناس ليسوا مواضيع سياسية. إنه يلفت الانتباه لما يستطيع السوريون فعله، يسلّط الضوء على الجانب المشرق لدى السوريين، إنه يحوّل التركيز والانتباه عن موضوع القتل الذي يحدث في كل مكان من البلد، ويركّزه على الناس المبدعين الذين يرسمون اللوحات أو يشكلّون القطع الفنية».

إن قصص كل من السيدة «الأصيل»، والسادة «الحموي» و«طعمة»، تقدّم رواية مختلفة عما تنشره وكالات الأنباء الرسمية، والتي يتركّز جلّ اهتمامها على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، أو ما يسمى بـ «داعش». ذات مرة أخبرني أحد الأساقفة المنتمين إلى منظمة «إنترناشيونال أليرت» أن أحد أفراد برنامجهم السياسي ممن اعتادوا على اعتلاء المنابر للنصح والإرشاد، يزور المساجد ونوادي الشباب، ليتحدث عن الأزمة السورية، ويحاول ثنيهم عن الذهاب إلى سوريا من أجل القتال. فعلى الرغم من أن معظم السوريين يذهبون إلى تركيا، لبنان أو حتى سوريا لتسهيل مهمة تقديم الدعم والمعونات، فإن أصواتهم تضيع وسط ضجيج وسائل الإعلام.

وبهذا الخصوص يؤكد السيد «الحموي»: «لقد ذهبت وسائل الإعلام في اتجاه معين، من شأنه ألا يقدم أي فائدة للمجتمع السوري بشكل عام، ولا حتى للمملكة المتحدة نفسها». إنها تكتفي برواية قصص وحكايات عن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، مع أن واقع الحال ليس كذلك. صحيح أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام يشكل مشكلة كبيرة، ولكن نسبتها لا تتجاوز 15% من حجم المشكلة الحقيقية، وإذا ركزنا اهتمامنا على 15% ونسينا الـ 85% الباقية، فإننا لن نجني أي فائدة، لا في سوريا ولا في المملكة المتحدة نفسها، نأمل في أننا إذا تمكنا من التحرك في ذات التوقيت معاً، قد نستطيع أن نوجه وسائل الإعلام في الاتجاه الصحيح».

فيما تقول السيدة «الأصيل» إن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام قد أسهم في تراجع جهود جمع التبرعات، حيث أحجم كثيرون عن تقديم منح لدعم القضية السورية، لأنهم في التباس من أمرهم حول ما يجري في سوريا: «هم يعتقدون أنهم فيما لو أقدموا على التبرع، فإن نقودهم ستذهب لصالح دعم الإرهاب هناك، الآن هنالك حاجة ملحّة لتصحيح الروايات المتداولة حول القضية السورية».

يقول الباحث «طاهر زمان»: «ما زال هناك أناس يعملون وفق مبادئ اللاعنف، لكن أصواتهم لا تسمع بشكل كافٍ، ولا تعطى المساحة الكافية لتعبر عن نفسها، فيما تعطى مساحة أكبر لعوامل القتل».

المصدر: https://www.middleeastmonitor.com/articles/middle-east/14710-britains-syrian-diaspora-unites-to-build-peace-in-their-homeland

# نساء الظِّل.. من أجندة نساء الثورة

• إعداد: وجيهة عبد الرحمن

الثورة السورية كانت ولاتزال ثورة تحديات، ولاسيما للمرأة السورية التي كانت قد نالت بعض الحقوق، بالمقارنة مع غيرها من النساء في بلدان الوطن العربي، فقد تخطت المرأة السورية النضال التقليدي، إلى النضال عبر التكنولوجيا الحديثة من توثيق للأحداث والانتهاكات عبر المرئي والمسموع من وسائل الإعلام، واستطاعت بذلك ممارسة دورها الطبيعي غير المفاجئ، وإن كان متأخراً قليلاً، نتيجة تحنيط المجتمع لها كتمثال زينة، للمكاتب الفخمة والبيوت المظلمة التي هجرتها الروح بفعل الثراء وغيره.

صنعت الحدث كما كانت بالأمس تنسج أردية صوفية، دخلت معترك الثورة من أضيق أبوابها الموارية، وفتحت الأبواب على مصراعيها لتبرهن للعالم أنها صوت حق، وأنها لم تخشَ نظرة المجتمع لها، الآن فقط باتت تتحرك وفق كيانها، انطلاقاً من إيمانها بقدراتها.

إن حركة تطور وعي الفرد الاجتماعي تتبلور خلال الثورة، والنساء شكلن النسبة الأعلى من جماعة الأفراد أولئك، المرأة قفزت قفزتها النوعية، ويتجاوز حديثي هنا المرأة المثقفة والمتعلمة، إلى نساء (ربات بيوت، عاملات، أميات، جدات و...)، كان دورهن رائداً في إثبات جدارة بالحياة التي خلقن فيها، وقد قيل عنهن « إنَّهن ناقصات عقل ودين» أو « ضلع قاصر».

السيدة « ناريمان» التي انضمت إلى « جمعية آسو لمناهضة العنف ضد المرأة» خير مثال على نسوة رائعات، وتستحق كل منهن دخول التاريخ.

« جمعية آسو لمناهضة العنف ضد المرأة» هي جمعية تأسست في زمن الثورة نظراً لحاجة نساء المرحلة التي تعيشها سوريا للتوعية والتثقيف بحقوقهن وبثقافة حقوق الإنسان، كلمة « آسو» كلمة كردية تعني « الأفق»، نظراً لدور المرأة الدائم في الحياة، والممتد إلى ما لانهاية.

« ناريمان» أدركت ذلك من خلال تواصلها مع بعض عضوات الجمعية، فانضمت إليها بإيمان.

كانت الفتاة الوحيدة في عائلة كبيرة لاتحمل الهوية الشخصية، بسبب تقاعس والدها عن تسجيلها، لم يكن للنظام السوري هذه المرّة يد في كونها مكتومة القيد بل السلطة الأبوية. كانت كالمعلق بين السماء والأرض لأنَّها فاقدة للهوية، تزوجت برجل فقير، لم تدرس إلا لبضع سنوات لاتكفيها حاجتها للقراءة والكتابة، هي كما يقولون (تفك الحرف). عانت الأمرَّين بسبب الفقر، ومع ذلك لم تكن لزوجها غير الزوجة المحبة والصديقة والأخت والأم، الأمر الذي انعكس على تنشئة أولادها فكانوا دوماً ينالون الدرجات العليا في صفوفهم وكانوا في المقدمة.

وحين اندلعت الثورة السورية كانت « ناريمان» من أوائل النساء اللواتي خرجن للتظاهر في مدينة الحسكة، وأولى النساء اللواتي شاركن في عمليات الإغاثة، بينما بيتها يكاد يخلو من القوت اليومي، شاركت مع نساء ورجال الحي، في حمايته من المداهمات، وكان سلاحها سكين مطبخ.

انضمت إلى «جمعية آسو لمناهضة العنف ضد المرأة» لأنها آمنت بحقوقها، هذا كان دافعها الوحيد، ولم تكن قد نسيت ولن تنسى أنها بلا هوية شخصية أبداً.

«ناريمان» نموذج للمرأة السورية المتصالحة مع ذاتها، وكثيرات من مثيلاتها ابتلعهن التاريخ ولم

يعرِّج على ذكرهن في صفحاته، هن جنديات مجهولات لأجل الحياة، قبل الثورة وأثناءها، وبالتأكيد بعدها، لأنَّهن حقيقياً في الكيان والمطلب والوجود، اعتقلن وتعرضّن لأقسى أنواع الانتهاكات، ولم يخرجن إلى الإعلام ولم يظهرن على شاشات التلفزيون، لم يلتقطن الصور المبهرة لشهرتهن، اكتفين بالأمومة المقدسة، كمنطلق أساسي للمشاركة في الثورة، وللدفاع عن مستقبل أولادهن الذين شردهم وهجَّرهم وقتلهم النظام السوري وأجندته الداعمة للإجرام، كلَّهن، ناريمان بطريقة أو بأخرى، وكلُّ واحدة بطريقتها الخاصة في النضال.

حين ودَّعتُ «ناريمان» قالت لي جملة واحدة فقط: «لا تقلقي على الجمعية، أنا هنا وهي بأمانتي».

فكَّرت في نفسي، كيف لناريمان الأمية أن تدير جمعية حقوقية، ثم حين تذكرت كيف كانت تعمل بتفانٍ واندفاع، أصبحتُ على يقين أن أمثالها من يبنين الأوطان.

المرأة السورية لم تكن يوماً تابعة في الثورة، وإنما كانت على الدوام جزءاً من حركة التغيير، لم يقتصر دورها على توثيق الأحداث وتسجيلها، بل كانت عاملاً مهماً في صناعة الحدث المباغت لأجل التغيير والسلام.

# ثلاث حكايات عن نساء سوريات في مصر

• سامر مختار – القاهرة

**قد لا ينتهي الكلام عن معاناة السوريين في مصر، كلما دخلت بيتاً أو اجتمعت مع شاب، أو شابة سورية في المقهى أو في الشارع، أو في «مجمع التحرير» أو في «السفارة السورية»، هناك قصة مليئة بالسواد، هناك مشاهد مليئة بالسواد تضاف إلى الذاكرة الجمعية لكل فرد انتزع من جذوره. لكن ماذا عن وضع النساء السوريات في مصر؟ ماهي التحديات التي تواجه المرأة السورية هناك؟**

**مخاضات وصراعات كثيرة تعيشها المرأة السورية، بعد النزوح الجماعي من داخل الوطن الأم، قصص وحكايات كثيرة يطول شرح بعضها، وبعضها تعجز الكلمات عند أهوالها، وفي القصص الثلاثة التي نحكيها هنا، بداية لفتح ملف المرأة السورية في مصر، لنحكي عن الصعوبات التي تمرُّ بها في حياتها اليومية.**

### عزلة امرأة

تقول الشاعرة والمترجمة «إيمان إبراهيم» إن حياتها لا تختلف عن حياة أي سوري يعيش في هذا «المعتقل الكبير» كما أسمته، منذ بدأت القرارات الجديدة بمنع السوري من دخول مصر، لم تعد ترى زوّاراً، وهي غير قادرة على المغادرة التي ستعني حتماً تذكرة ذهاب فقط دون رجعة.

تقول «إيمان»: «في مساحة لا تتجاوز الـ 70 متراً مبعاً، أعيش هنا مع عائلتي منذ ما يقارب العامين، كانت مصر خياراً اتفقنا عليه بعد سوريا، هنا لا يختلف يوم السبت عن الخميس مثلاً، نهاية الأسبوع كالأعياد، أيام باهتة تمر بلا أثر، سريعة جداً بقدر ما هي بطيئة، لا شيء يتغير بين هذه الجدران». وتتابع «إيمان» بأن العزلة التي كانت خيارها في سوريا أصبحت فرضاً في مصر، قد يمر أكثر من أسبوع دون أن تنزل للشارع، «لا حاجة لمزيد من الإحساس بالغربة، فكل شيء هنا (ديليفيري) حتى الدواء، الاحتكاك البسيط بالناس كسائق التاكسي أو الباعة في سوبر ماركت أو محل يمنح بعضاً من الراحة، مازلت أتذكر اللحظات المؤلمة في أيامنا الأولى هنا، كانت لافتة لجمعية خيرية تطلب بطانيات للسوريين كفيلة بجعلي أرتجف وأبكي».

لا تؤمن «إيمان» بأن الشعر محور حياتها، فهو بالنسبة لها مجرد تفصيل صغير من تفاصيل كثيرة «قد يضحك من يعرف أني افتقد حمّام بيتي هناك، ثيابي التي تركتها وكتبي، الألوان، الموسيقا، البيت الذي قضيت فيه أجمل سنواتي».

كان الحدث الأكثر إيلاماً للشاعرة «إيمان» هو وفاة والدها في مصر، «كسرني غيابه ومازلت أنكر موته وأنتظر عودته، مات وهو يحلم بسوريا جديدة وعودة قريبة، هربنا من الموت هناك، فعاجلنا بسرطان نَهِم فتك به وبنا معاً»..

وعن متابعتها لما يحدث في سوريا تقول «إيمان»: «منذ عام أو أكثر توقفت عن متابعة الأخبار، فاليأس قد نال منّي، لكن الأخبار السيئة تصل إما عبر الفايسبوك، أو اتصالات الأصدقاء

بفقدان المزيد ممن نحبهم».

الخوف من المحطة القادمة جعل «إيمان» متشبثة بالمكان، فهي لا تؤمن بفكرة الوطن الذي يملكه «فرد» حسب تعبيرها، مضيفة أنها حين ستغادر مصر ستشعر حتماً بالحنين إليها: «سأشتاق تلك الجدران التي آوتني، والكلمات الطيبة، وبالأخص عبارة : نوّرتي مصر».

**منذ بدأت القرارات الجديدة بمنع السوري من دخول مصر، لم تعد ترى زوّاراً، وهي غير قادرة على المغادرة التي ستعني حتماً تذكرة ذهاب فقط دون رجعة**

### أزمة العمل في في مصر

«وفاء علوش» شابة سورية، كانت قد تخرجت من كلية الحقوق في دمشق، وتعمل في مجال القانون، حيث كانت عملت في سوريا كمديرة شؤون قانونية وإدارية بأكثر من جهة عامة حسب تعبيرها. قدمت إلى مصر منذ ثلاثة أشهر بهدف البحث عن فرصة عمل، ضمن مجالها، حيث أرسلت سيرتها الذاتية لأكثر من جهة، لكنها لم تجد العمل المناسب إلى الآن، إذ كانت هناك بعض الجهات التي وافقت على توظيفها، لكن براتب شهري قليل وعلقت «وفاء» على ذلك: «هناك بعض الشركات أو جهات العمل التي تظن أنك كسوري، قد تقبل أن تعمل بأجر زهيد».

وتحكي «وفاء» عن حياتها بمصر، تعيش حالياً مع عائلتها، واستقرارها في هذا البلد مرهون بإيجاد عمل، وفي حال وجدت عملاً مناسباً ستستقر في مصر، وفي حال لم تجد عملاً مناسباً ستسافر إلى إلى بلد آخر. وقالت «وفاء» إنها لم تتعرض أبداً لمضايقات في مصر، الكل يرحب بك ابتداء من سائق التاكسي، الجميع يريد أن يطمئن على الأوضاع الراهنة في سوريا، وترى أن الشعب المصري «شعب طيب»، لكنها لا تنكر أنها تعرضت لمضايقات في الشارع، كما تتعرض أي فتاة مصرية لهذه المضايقات.

### لقمة العيش

السيدة «أ. م» أم لثلاثة شبان وابنة «مطلقة»، قدمت إلى مصر بصحبة زوجها وابنيها وابنتها، باستثناء الشاب الثالث، الذي توجه إلى ليبيا للعمل هناك. زوجها يعمل في مهنة النجارة، كان يملك ورشة خاصة له في دمشق، وعندما جاء إلى مصر اضطر للعمل كعامل في إحدى ورشات النجارة، في مدينة 6 أكتوبر في القاهرة.

بدأت معاناة «أ . م» عندما أدركت أن الراتب الشهري لزوجها، لا يكفي إلا لدفع أجرة البيت الذي يسكنون فيه. أما الشابين، فبدأا في بالعمل كأجراء، أو بائعين في محلات الألبسة، السوبر ماركت أو ماشابه ذلك. لكن الزوج الذي يبلغ من العمر 55 عاماً بدأ يتعرض لسوء المعاملة، وقلّة التقدير في الورشة التي يعمل فيها، وهذا ما دفعه لترك العمل. وهنا بدأت الزوجة البحث عن حلول كي لا يقعوا في أزمة مالية، نتائجها ستكون عدم قدرتهم على دفع أجرة البيت، والموت جوعاً.

الفكرة التي خطرت في بال الزوجة هي أن تحضر «طبخات شامية» وتعرضها على جيرانها المصريين في الحي الذي تقطنه. لاقت الفكرة قبولاً عند المصريين الذين يعرفون تميّز «المطبخ السوري»، وبدأت «أ . م» بتحضير أكلات متنوعة، وتوزيعها حسب الطلب للبيوت المصرية. لكن حتى هذا العمل، لم يدر عليهم المال الكافي لكي يستطيعوا سداد أجرة البيت، وفواتير الكهرباء والماء.

معاناة «أ. م» لا تنتهي عند هذا الحدّ، بل تستمر مع ابنتها الشابة التي تبلغ من العمر 24 عاماً. تقول «أ. م»: «زوّجت ابنتي وهي في السابعة عشر من عمرها، وهذا أكثر شي سأظل نادمة عليه طوال حياتي، لأن زواجها الذي لم يستمر سوى سنة تقريباً، انتهى بالطلاق، وكان نتيجته أني دمرت حيات ابنتي، فزوجي لم يجبرها على الزواج، ولم يتدخل بحريتها في اختيارها لهذا الأمر، إلا أنني كنت مُصَّرة على زواجها، وحاولت إقناعها، وإقناع زوجي، حتى وافق جميع أفراد العائلة على قبول فكرة عدم إتمام دراستها، وزواجها.

وتتابع «أ . م»: «بعد قدومنا إلى مصر، وبعدما ساءت الأحوال هنا، اقترحت عليَّ جارتي المصرية، فرصة عمل لابنتي، كمحاسبة في محل ملابس نسائية، بالقرب من البيت، عرضت الفكرة على ابنتي، فوافقت وهي سعيدة بأنها أخيراً ستعمل. وما إن بدأت بالعمل حتى اتصل بي ابني الذي يقيم في ليبيا، وهو غاضب من أن أخته «المطلقة» تعمل!.. وهددني، وهدد شقيقته مطالباً بأن تترك العمل «وبلا فضايح»، إلا أن تهديداته لم تؤثر بي، وقلت له إذا كان ينظر إلى شقيقته على أنها مطلقة، ولا يجب أن تعمل، فهذا شأنه، وأقفلت الهاتف».

تبقى قصص كثيرة للسوريات في مصر، مغلفة بالصمت والكتمان، فكثيرات يرفضن الحديث عن أحوالهن، وعن تفاصيل حياتهن في مصر، إما لأسباب تتعلق بالخوف من الأهل، أو لأسباب تتعلق بـ«المكابرة» على البوح بما خلفته مسيرة الشتات الجمعية، التي بعثرت السوريين في كل مكان خارج أرضهم.

# فاديا فضة وذاكرة لدور المرأة الفلسطينية في النضال «أنا متفائلة ومؤمنة بمستقبل سيصنعه شباب سوريا»

• حاورتها سيدة سوريا

أخذتها المنافي بعيداً، لكنها لم تنل من عزيمتها، بل ربما زادتها قرباً كما تقول.

أحد الأمثلة عن نضال المرأة الفلسطينية التي عاصرت مرحلة الكفاح الفلسطيني المسلح والعمل السلمي.. فاديا فضة وذاكرة من حكايا الأمس واليوم..

**عرفينا بفاديا، من هي وأين ولدت، وكيف بدأت العمل بالكفاح المسلح؟**

أنا فاديا فضة، ولدت عام 1959 في لبنان بمدينة صور الجنوبية، من عائلة فلسطينية خرجت من مدينة عكا. انتقل أهلي بعد ولادتي إلى بيروت، بقينا فيها بضع سنوات، ثم انتقلنا إلى الضاحية الجنوبية، حيث بدأ احتكاكي بالفلسطينين والقضية الفلسطينية مبكراً، أولاً في المدرسة، مع أني كنت أسكن خارج المخيم، لكنه كان احتكاكي المباشر لأول مرة مع الفلسطينين من ساكني المخيم، وهذا ولد تساؤلاً للمرة الأولى: «لماذا أختلف عنهم؟» وانتهى بي عند السؤال «من أنا؟»، كان من الصعب علي كطفلة إيجاد إجابات لأسئلة صعبة، لكن المدرسة أتاحت لي فرصة اكتشاف وحدة الحال مع هذا الطالب الذي يتقاطع معي في أنه لا «ضيعة» لديه لقضاء عطلة الصيف، وأبعد زيارة يقوم بها ينتقل خلالها من مدينة لمدينة أو لمخيم آخر، ليزور عمة أو خالة.

كانت تلك بدايات اكتشاف الذات، ومع بداية وجود حركة المقاومة في لبنان كنت صغيرة في سن السابعة عشرة، كانت بداية إحساسنا بإمكانية فعل شيء، كنا نسمع أن ثورة تحدث في المخيم، فلماذا لا ننضم لها؟ ذهبت للمخيم مع رفيقة لي ومجموعة من البنات، كنا جميعاً نسكن خارج المخيم، توجهنا إلى مركز تدريب في المخيم، مجرد وقوفونا في صف عسكري، والتجاوب مع نداءات المدربين: «واحد.. اثنين.. ثلاثة.. أربعة..» كان يعني لنا أننا صرنا في الثورة.

**خلال تلك المرحلة ما مساحة الحرية التي أعطيت للمرأة؟**

نشأت في بيت ليبرالي، لم تكن لديه القيود التي يمكن تراها في بيت آخر، أمي سافرة وكذلك كل نساء العائلة، كما أننا انتقلنا من مدينة في فلسطين لمدينة في لبنان، وهذا كان عاملاً مساعداً، إضافة إلى كون والدي من المتعلمين. جاءت الثورة الفسطينية وانضممنا لها، كنا مجموعة فتيات بأعمار 16-18، وافتتحنا أول مكتب لفرع اتحاد المرأة الفلسطينية في المخيم.

**هل نسجتن على منوال تجربة محددة؟**

لا، كان عملنا وليد وضع المخيم الذي هو دائرة مغلقة، لم يكن هناك أي عمل من قبل الدولة اللبنانية ولا الأونروا أو أي جهة أخرى، وبدأت التشكيلات المقاومة الفلسطينية تبرز نفسها، كان اتحاد المرأة الفلسطينية واحداً منها، بفرع مركزي وفرع في لبنان، ونحن بدأنا بالعمل على الأرض، كانت التجربة الأولى للاتحاد، وكان من الصعب علينا كشابات التعامل مع من هن أكبر سناً وشدهن للاتحاد، هذا التشكيل الأولي أثر على جيلنا فقط. في ذاك الوقت بدأت الحرب الأهلية في لبنان بين ليلة وضحاها، وانتقلنا

للتفكير بكيفية العمل مع الفتيات اللواتي بدأن بمشاريع صغيرة داخل المخيم، فعملنا على دورات تأهيل بمجال الإسعافات الأولية والتوعية الصحية العامة، إضافة إلى التوعية السياسية، أعترف أننا لم نؤثر في الجيل الكبير، بقدر ما أثرنا بالقريبات من سناً. باقي النساء نظمن أنفسهن «بدون فضل منا»، دعمن صمود المخيم بالطبخ بمبادرة منهن، فثبتنا لهن الخطوات وأمنا التمويل للبضائع.

من الأشياء الجميلة في ذاك الوقت مبادرتنا لتعلم كيفية التعامل مع البنادق، استلمنا بنادق، وكنت ممن نزلوا إلى محور الطبية في بيروت جنباً إلى جنب مع الشباب، لم أطلق النار، لكنني كنت جاهزة مع بندقيتي وجعبة الإسعاف. وقد اختلفت نظرة أهالي المخيم وزاد احترامهم لنا حين رأونا بالزي العسكري، نحمل الكلاشن كوف.

**برأيك ما الذي أتاح لكنّ ذلك، هل هي طبيعة حركة فتح، أم جملة من القوانين والأنظمة اللي ربطت هذه الحالة؟ نظن اليوم أن نصف نساء سوريا وشاباتها يمكن أن يكن في صفوف المقاتلين، فكما تعلمين نصف مقاتلي الـ YPG والـ PKK تقريباً من النساء.**

أنا أرى أن الظرف والبيئة هما القادران على تقبل هذه الفكرة، فالظرف الذي قررنا فيه أن نشارك عسكرياً بالمهمات كان ظرف حرب، والبيئة التي جئنا منها هي بيئة منفتحة وليست منغلقة، فما تحقق في ذاك الوقت كان نتيجة هذه الأسباب. اليوم تلعب النساء دوراً في الحرب، لكنهن على الأغلب لا يخطين خطوات أكبر بالقياس على الخطوات التي كنا نحاول القيام بها في ذاك الزمن، لأن الحاضن الاجتماعي والحاضن السياسي يلعبان دوراً، هذا الدور يدفعك خطوة للأمام أو يعيدك للخلف.

**هل كنت ممن تابعوا العمل في فترة الثمانينات ببيروت؟**

طبعاً، وفعلاً استمرينا بحالة تحدّ لكل الظروف، استطعنا مع النساء اللواتي كنا نعمل معهن، ورغم كل الانتهاكات اللي كانت تحصل في المخيمات من اختطاف واعتقال وظروف إنسانية صعبة، أن نوثق ونوصل المعلومات لمنظمة التحرير، التي كانت قد انتقلت لتونس، بقدر الإمكانيات المتاحة لنا، والكادر النسائي الذي كان موجوداً هو الوحيد الذي عمل في كل المخيمات. طبعاً البعض عملوا سراً، لكني معنية هنا بالعمل العلني، فترة الـ 82 كانت الفترة الصعبة، إلى أن بدأت معارك 6شباط وتغيرت الظروف من بعدها.

**هذا الانتقال كيف أثر على المرأة وواقعها فيما يتعلق بالنضال؟**

أنا أقول إن أحداث 1982 شكلت حداً فاصلاً ما بين زوال أو ضعف الحركات القومية الوطنية التحررية، وبروز حركات جديدة ذات طابع ديني بدأت بحركة أمل الشيعية بلبنان، والتوحيد في الشمال والمناطق السنية.

كان ذلك تحت تأثير الضرورة وانتصار الثورة الإيرانية، التي بدأت تمد خطوطها وتنسقها مع النظام السوري. في ذاك الوقت بدأ الخناق يضيق، لم نكن نعرف الحجاب ولا النقاب، لا أذكر أن فتاة واحدة في مدرسة الأونروا في مخيم برج البراجنة المحافظ كانت تضع الحجاب، لكن بعد هذه الأحداث ما كنا لنرى فتاة بدون حجاب.

**«زكريا السقال»، زوجك، هو اليوم جزء من واجهة المعارضة السورية السياسية، كيف تفهمين تلازم المسارين السوري والفلسطيني على المستوى الحضاري والثقافي، والنضال بين سوريا وفلسطين؟**

تعرفت على زكريا في إحدى زياراتي لمخيمات الشمال، كعضو في الهيئة الإدارية لفرع لبنان باتحاد المرأة، خلال النقاشات انتبهت أنه شخص قابل لخوض نقاشات عميقة، كانت لديه قدرة على الحديث في مواضيع مختلفة وصعبة. خلال زياراتي المتكررة صار اللقاء معه يومياً، وكان ممتعاً جداً التعرف على شخصية خارجة عن المألوف في ذاك الوقت، لم أكن أعرف حينها أنه سوري ومعارض.

عدت لبيروت، حيث الغرق في تفاصيل الوضع الفلسطيني المعقد، والدور النسائي كان الدور الوحيد الذي يمكن تفعيله على مستويات مختلفة، ثم جاء زكريا إلى بيروت، وانضم للإطار السياسي الذي كنت فيه واستلم مهمة قيادية، وصارت لقاءاتنا يومية مكنتني من التعرف عليه بشكل مباشر وأكثر عمقاً، هو معارض سوري ملاحق، وهذا قربني منه، وارتبطنا.

**بالحديث عن الفعالية السياسية، مع عودة الثورة السورية هل شعرت بأنك عدت معه لنفس الأجواء مجدداً؟**

الحقيقة أننا لم نغادر الجو، صحيح أننا غادرنا لبنان إلى ألمانيا في ظروف قاهرة، لكني لا أعرف يوماً مر دون أن يكون لدينا فيه عمل سياسي. بقينا نعمل بنفس الكثافة رغم اختلاف الساحة والمعطيات، زكريا استمر بشكل متواصل، فيما ابتعدت لأني لم أقتنع بإمكانية العمل السياسي الذي كنت منخرطة فيه أيام لبنان بنفس الروح، ورغبت بمغادرة الدائرة الضيقة، فاخترت العمل مع مؤسسة ابن رشد للفكر الحر، وهي مؤسسة ترى المنطقة العربية من جانب مختلف، أعمل فيها مع المهاجرين، إضافة لترجمة ما أرى وصوله ضرورياً للعالم العربي. فيما حافظ زكريا على نفس طويل في العمل السياسي، يذهب إلى لقاءات ببرلين، وأتساءل كيف إنه ما زال يتحمل ما أراه مجرد دوائر مغلقة، يبحث هو فيه عن أي جانب مهم يمكن العمل عليه، أحسده على على أنه لم ينقطع عن السياسة. زخم الثورة السورية هز كياننا كأسرة كما فعل بكل السوريين، لكن وقعه على زكريا كان مختلفاً، أذكر حين تلقى أول اتصال من صديق يسأله إن

كان شاهد خبر أول مظاهرة خرجت في درعا، لأول مرة رأيته يبكي ويصمت دون القدرة على النطق بكلمة وهو يرى ما كان يحلم به الكثيرون يتحقق. لم ينقطع عن العمل السياسي لكن الوتيرة اختلفت مع انطلاق الثورة السورية، ليغدو البيت كغرفة عمليات يتواصل فيها الليل والنهار، أما أول لقاء جمع الكوادر السورية بأوروبا فقد احتضنه بيتنا بمبادرة من جميع من حضر. وسط هذه الزوبعة لم ألعب دوراً سوى الاطلاع على كل ما كتبه زكريا وتقديم وجهة نظري فيه.

يتفرغ زكريا منذ ذلك الوقت للعمل السياسي ضمن إطار الثورة السورية ما يجعلنا نلجأ للزيارات بين تركيا وألمانيا لنلتقي.

**ما الذي يمكن قوله عن تلازم المسارين السوري الفلسطيني على المستوى الحضاري، الثقافي والنضالي، وعن حقيقة أن قاعدة النضال شعبية وليست واجهات سياسية؟**

فيما يتعلق بسوريا، لم يكن هناك فضل مباشر للحركات السياسية السورية بكل تنوعاتها في خروج الشعب للشارع، ولكن كان من حقها الالتحاق ومحاولة خلق إطار لذلك العمل الذي كان ما يزال «فورة». لكن إذا أردنا المقارنة بين الوضعين السوري والفلسطيني، فأنا عايشت الوضع الفلسطيني بعد أن مأسس نفسه، لم يكن عليّ اختراع اتحاد المرأة الفلسطينية لأنه كان موجوداً، بل كان علي تعلم كيفية أن أصبح جزءاً من كوادره. لم يكن علي خلق نظام مركزي اسمه منظمة التحرير، فقد كانت موجودة، المخاض يكون أثناء التشكيل، وأنا مازلت ليومي هذا أسأل: من كتب عن هذا الموضوع؟ عن الصعوبات والمشاكل التي واجهت من أسس هذه الكيانات وأريد أن أعرف عنها، أن أعرف كيف استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية أن تصل لدرجة مأسسة نفسها؟ واجهنا نقداً شديداً لكن كان لنا في النهاية شكل مؤسساتي نشأ، تعاملنا معه بعيون ناقدة، لم نوفر ثغرة لكنه كان موجوداً كما قلت. في المسار السوري ما زلت أشعر أنه حتى اللحظة يعيش حالة المخاض الذي يفترض أن يخلق مؤسسات.

ما زال السياسيون السوريون الذين جربوا وضع إطار للحراك يتخبطون، لا بد من الاستفادة من تكرار الأخطاء، والتمييز بين الصراع الشخصي والصراع المؤسساتي الذي نواجهه أثناء البناء، لا بد من العمل المشترك وإن اختلفنا على المستوى الشخصي. السوريون يقعون في المطب ويخرجون، لكن هناك بدايات لا بد من تثبيتها. أعلم أنه ليس سهلاً، ودائماً أقول لنفسي إنها تجربة لم يعشها السوريون سابقاً لذا لا يمكن خلق أطرها دون صعوبات نتعلم منها.

**في ظل تجربتك النضالية كناشطة فلسطينية، كيف ترين الثورة السورية اليوم؟ وما هي مساحة الأمل في نجاحها بداخلك؟**

لا تجربة لدي على الساحة السورية، يمر شريط ما يقارب أربع سنوات من عمر الثورة فيخفق الفؤاد بالحرية القريبة. لكن هذا لا يخفي خوفي وتساؤلي الدائم: إلى أين يمكن أن تنتهي ثورة حرية تحولت لمسألة طائفية وحركات دينية تمارس الذبح بالسكاكين، وحين أفكر بهدوء أقول إن هناك معارك كثيرة أجّلنا خوضها ومسائل أجّلنا حلها أربعين سنة، كنا غارقين خلالها بالكبت، وحين نبدأ بنفض الغبار عن كل ما تراكم خلال هذه السنوات فلا بد أن تطفو المشاكل على السطح، أن يظهر «داعش»، عصابة هنا ومجموعة لصوص ومتسلقين هناك، أين ستذهب الانتهازية التي تعلمها الناس من خلال العلاقة مع الاستبداد؟ حتماً ستطلع إلى السطح، لا بد أن نحيا كل هذه التفاصيل، أزمتنا أننا انتظرنا أكثر مما ينبغي فتراكمت الأزمات أكثر مما ينبغي.

للخلاص يبدو أننا مضطرون لعبور ممرات دامية ومتعبة، أنا مؤمنة أنه رغم ضبابية المشهد أمامنا، إلا أن الجيل القادم لا بد سيمشي وعينه على المستقبل الذي يستحيل أن يكون لهذه الحركات. في تاريخ كثير من الشعوب حصلت انتكاسات ولم تنجز الثورات ما هو مطلوب منها من الجولة الأولى، لكن المستقبل للتغير، ولا يمكن أن نرجع لعصر الاستبداد. لا يمكنني القول إن ظاهرة «داعش» غير موجودة، لكني على يقين بانهيارها لاحقاً لأنها غير قابلة لأن تكون جزءاً من العصر. أنا متفائلة ومؤمنة بمستقبل سيصنعه شباب سوريا.

**مم تحذرين السوريين اليوم؟**

السوريون يثيرون حزني بكونهم كلهم زعماء، دائماً يتكون لدي انطباع من خلال الفايسبوك وبعض القراءات والتصريحات بأن الجميع متعلم وجاهز، وأنا هنا أشير إلى افتقاد التواضع وقابلية التعلم التي هي أول أسس النجاح، أتمنى أن يتم الانتباه لهذه القضية، ثورة السوريين ثورتنا كلنا، وإذا لم يحصل تغيير في سوريا فإن آمال التغيير ستغيب لقرنين أو ثلاثة، لأن الجيل الذي شهد الأزمة لن يملك القدرة على إقناع الجيل القادم، وهذا يعني انتكاسة وانكسارة، لكني مؤمنة أننا لن ننكسر حين نتعلم..

# محاولات للثورة السورية
# منذ 29 كانون الثاني 2011 وصولاً إلى 18 آذار

• فادي. أ. سعد

بدأت في دمشق يوم 29 كانون ثاني 2011 محاولة تظاهر أو اعتصام، تأييداً للثورة المصرية واستمرت حتى 2 شباط بشكل يومي، شارك فيها عشرات من الناشطين والحقوقيين والمثقفين السوريين الشباب. كان عدد المعتصمين في اليوم الأول أمام السفارة المصرية في كفرسوسة ما يقرب من 60 شخصاً، غنوا وهتفوا للثورة المصرية.

يوم 2 شباط تجمّع حوالي 25 شخصاً عند باب توما الأثري، ورفعوا الشموع من أجل أرواح شهداء الثورة المصرية، وحضر الأمن السياسي وحاول إقناع المعتصمين بفض الاعتصام وهدد باعتقالهم، وتم توقيف «سهير الأتاسي» لساعات، في مخفر القصاع القريب من ساحة باب توما.

دعوة فيسبوكية للتظاهر يوم السبت 5 شباط أمام مجلس الشعب، دعت إليها «رابطة شباب مستقبل سوريا»، ووزع بيان للدعوة على الفيسبوك، ورد فيه: «يراقب الشعب السوري بكل قواه ما يجري على أرض الكنانة من ثورة شعبية عارمة وانتفاضة الهمم العالية من أبناء الشعب المصري العظيم.. نعلن وبكل صراحة أنّ زحف هذه الثورات المتلاحقة لن يقف أمامه عائق، ونحذر النظام السوري من مغبّة الاستمرار في القمع واعتقال الأحرار ونفي الشرفاء وتسلط الحاشية والأقرباء على مقدرات البلاد ومواردها وأهمّها شركتي الاتصال الخليوي، وعليه أن يتخذ فوراً قراراتٍ حاسمةً وقبل الاحتجاج العارم والتجمع الجماهيري الكبير الّذي سيجري أمام مجلس الشعب في دمشق الفيحاء قلب العروبة والفداء، وذلك يوم السبت في الخامس من شباط القادم بإذن الله»، وقد وقع البيان باسم «التيار الإسلامي الديمقراطي المستقل في الداخل السوري».

في 15 شباط كانت هناك دعوة للتظاهر بالقرب من مجلس الشعب أيضاً، وحين حاول عدد من الناشطين النزول إلى الشارع، وجدوا أن الأمن السرّي يحيط بالمجلس، فحاولوا الوصول إلى المكان عبر طريق جانبي، لكن الأمن حاصرهم وتعرضوا للضرب بالقرب من المطعم الصحي، واحتجزت مجموعة منهم كانت موجودة في مقهى الروضة الشهير بشارع العابد، ومنعوا من مغادرته.

وفي يوم 17 شباط انطلقت تظاهرة عفوية في منطقة الحريقة بدمشق، شارك فيها أكثر من 1500 شخص إثر ضرب أحد بائعي الحريقة من قبل شرطي، الأمر الذي اقتضى قدوم وزير الداخلية يومها «محمد الشعّار»، ليقدم بنفسه تطمينات للمتظاهرين أن المذنبين سوف يتم عقابهم، وليقول كلمته الاستنكارية الشهيرة «مظاهرة؟».

في 22 شباط أيضاً، جرى اعتصام أمام السفارة الليبية ضد المجزرة التي ارتكبها القذافي في طرابلس، احتجز الأمن شاباً اسمه «رامي»، لكن المعتصمين أصروّا على البقاء في المكان حتى إطلاق سراحه.

في اليوم التالي 23 جرى الاعتصام قرب السفارة الليبية في حديقة المدفع، وحين قرر العدد الأكبر من المجتمعين هنالك الاقتراب من السفارة، اعتدت قوات الأمن على المتظاهرين، واعتقلت حوالي عشرين شاباً وفتاة، منهم من أفرج عنه في نفس اليوم، أو في اليوم التالي.

في 27 شباط اعتقل الأمن أكثر من 15 طفلاً ومراهقاً من درعا، بعد أن كتبوا شعارات على جدران مدرستهم تدعوا لإسقاط النظام، فما كان من قوات الأمن في المدينة إلا أن اعتقلتهم وقامت بتعذيبهم وقلع أظافرهم.

يوم 12 آذار كانت هناك دعوة للتظاهر في دمشق لكنها فشلت... وفي 15 آذار انطلقت تظاهرة من سوق الحميدية التجاري بدمشق، بدأتها «مروة الغميان» بالهتاف، وهي ترفع العلم السوري، وسرعان ما شاركها نشطاء متواجدون هناك. حاول المتظاهرون الوصول إلى وسط المدينة، لكن قوات الأمن فرقت التظاهرة واعتقلت عدداً من المتظاهرين ومنهم «الغميان».

16 آذار بداية ثانية، كانت بدعوة من عائلات المعتقلين للاعتصام أمام وزارة الداخلية في ساحة المرجة، الدعوة وجهت بشكل خطي على وريقات صغيرة قبل ذلك بعشرين يوماً تقريباً، للاعتصام أمام وزارة الداخلية، قدمت معظم العائلات التي تمت دعوتها، واحجمت عائلات أخرى بسبب الخوف من الاعتقال، في ذلك اليوم تجمع ما يقارب 200 شخص في ساحة المرجة أمام وزارة الداخلية، وبعد انطلاق الهتاف الأول بدأت قوات الأمن والشبيحة بالاعتداء على المتظاهرين، ومن بينهم المفكر «طيب تيزيني» الذي تم الاعتداء عليه بشكل وحشي، وكذلك المحامية «سيرين خوري»، وتم اعتقال حوالي 50 معتصماً، أي ربع المتظاهرين الموجودين هناك، وقدموا للمحكمة لكنهم خرجوا بعد شهر.

وفي يوم 18 آذار انطلقت في درعا تظاهرات عفوية شعبية احتجاجاً على السلوك العنيف لقوات الأمن تجاه أطفال درعا، الذي أجبر الأهالي على الانتفاضة ضد النظام الذي استوحش ضد أطفالهم وأهانهم في كراماتهم، وهم أبناء العشائر الذين لا يقبلون ضيماً، حيث كان «عاطف نجيب» رئيس فرع الأمن السياسي في المدينة قد رفض مطلب وفد العشائر حينما زاره في مكتبه، مطالباً بإطلاق سراح الأطفال، وأهانهم بكلام غير مقبول.

ردد المتظاهرون هتافات ضد «عاطف نجيب» و«رامي مخلوف»، ولم يهتفوا يومها بإسقاط النظام، ومع ذلك قتلت قوات الأمن عدداً من المتظاهرين.

استمرت التظاهرات في درعا بشكل يومي حتى 25 آذار، وراح ضحيتها مالا يقل عن عشرين قتيلاً، بينهم عدد من أفراد الشرطة.

وفي 25 آذار انطلقت تظاهرات في 7 مدن سورية هي درعا، دمشق، ريف دمشق، اللاذقية، حمص، حماه وحلب، تضامناً مع مدينة درعا، كان أعنفها في درعا واللاذقية، حيث راح ضحيتها ما يقارب 20 قتيلاً.

هكذا ابتداء من درعا اشتعلت سوريا بالثورة، يقال إن من أشعلها مزاح أطفال في الخامسة عشرة، كتبوا على جدران مدرستهم «يسقط بشار الأسد» و«جاك الدور يا دكتور». تبقى الحقيقة أن سوريا كانت تغلي منذ ثورة تونس، وعند سقوط مبارك كان هناك من قرر تفجير ثورة في سوريا، ثورة تأخرت كثيراً رغم أنها نضجت، وحان قطافها.

# حقوق المرأة وتمكينها في العالم العربي

• إعـداد: صوفي بيسيس
ترجمة: د. إنعـام شرف

يمثل موضوع حقوق المرأة وتمكينها أحد التحديات المركزية التي يواجهها العالم العربي من أجل تطور المجتمعات فيه. وبقدر ما هو موضوع شائك ومعقد، بقدر ما يشكل اليوم الموضوع الأكثر طرحاً ومناقشةً في هذه المنطقة، وبصورة عامة، فيما يسمى «بالعالم العربي الإسلامي». وتتمحور حول هذه القضية، وبشكل مكثف، الكثير من التساؤلات والنقاشات الحادة، حيث أصبح موضوع المرأة، من الخليج إلى المغرب، واحداً من الخطوط الرئيسية التي تفصل بين التشكيلات السياسية، والمشاريع المجتمعية الكبرى المحمولة على هذه التشكيلات. بالإضافة إلى أن كل ما يمس قضية دمج المرأة في المجتمع والفضاء العام، وكذلك موضوع حقوقها ووقوعها ضحية عدم المساواة، أصبح اليوم يمثل محور النقاشات الدائرة بين الفاعلين الذين يحتلون الحيز العام، وكذلك محوراً للقضايا التي تطرحها النخب العربية حول مستقبل مجتمعاتها.

مركزية هذ القضية تعود في الحقيقة إلى سلسلتين من الأسباب:

– تغير وضع المرأة العربية، وهذا التغيير لا يقتصر فقط على البلدان الأكثر عصرية، وإنما في جميع المجتمعات العربية، على الرغم من أن المقارنة بين وضع المرأة في تونس، التي خاضت منذ العام 1956 حرباً طويلة الأمد، وشقت طريقاً وعرة جداً باتجاه تحقيق الحرية والاستقلالية الفردية والجماعية، ووضع المرأة في السعودية أو في اليمن أمر في غاية الصعوبة. ومع ذلك، حتى في البلدان التي تخضع لأنظمة حكم محافظة جداً، وفي المجتمعات الأكثر تعصباً والتي تعاني من رهاب التطور والتغيير، فقد حدث تغيير في وضع المرأة وفي نظرة المجتمع إليها، لا بل وعلاوةً على ذلك، وللمفارقة، يمكن قياس حجم هذا التغيير من خلال مقارنته بحجم العنف الممارس ضدها من قبل المعارضين لفكرة تحررها واستقلاليتها.

– تقودنا الملاحظة الأولى إلى ملاحظة أخرى: لقد دخل العالم العربي مرحلة الحداثة وأصبح عالماً عصرياً، ليس فقط في البلدان التي تصرح وتتفاخر علناً بحداثتها وعصريتها، وإنما في جميع البلدان والمجتمعات العربية. وقد لا يشكل العالم العربي جزءاً فعلياً مما يسمى «بالحداثة»، لكن، وهذه ملاحظة جوهرية، إجراء أي تحليل لهذا الجزء من العالم بالاستناد فقط على مفهوم وتقليد الحداثة، سيمنع بالتأكيد من فهم واستيعاب ما يحدث فيه. لا شك أن هناك بعض المناطق النائية، التي ما تزال متمسكة بعاداتها وتقاليدها على الرغم من أن التلفزيون والراديو يحتلان اليوم الفضاء العام في كل مكان، وهذه المناطق توظف عند الحاجة لصناعة هوية يعاد تصنيعها وابتكارها دون توقف، إلى درجة يمكننا التحدث فيها عن «تقاليد حديثة العهد» لوصف بعض الممارسات المتحفظة التي تؤثر في أجزاء واسعة من العالم العربي. وهذا الأخير يعاني اليوم من التمزق والانقسام حول مفهوم العصرنة، ما يجعل بالتالي مناقشة الموضوع وتناوله بالدراسة أكثر تعقيداً وغنى على حد سواء.

لكن وكما في جميع الدول التي لم تقطع بشكل فعلي مع شمولية المعيار الديني، الذي يستمر، وهذا يتفاوت حسب الدولة المعنية، في التحكم بقوانين الأسرة، فإن الانقسامات حول التشريعات المتعلقة بالمرأة وحقوقها تزداد اتساعاً بين مؤيد لفكرة التطور، ومتحفظ يسعى لتأطير النساء وحجبهن عن المشاركة الفعالة في المجتمع، بحجة الدين والعادات الاجتماعية. ومع ذلك فإن الواقع الاجتماعي في العالم العربي يبقى اليوم متقدماً على التشريعات والمعايير الرسمية المحلية. كما أن هذه الهوة بين الواقع الاجتماعي والتشريعات تتفاوت في حجمها من دولة إلى أخرى، ففي الحالة التونسية مثلاً، تعد التشريعات الأسرية متقدمة أكثر بكثير من التشريعات الموضوعة في بقية البلدان العربية، وقد ساهمت هذه التشريعات بالتوافق بين القانون والممارسات. الوضع في المغرب لا يختلف كثيراً عن الحالة التونسية، حيث ساهمت مدونة عام 2004 وبصورة ملحوظة، في التخلص من بعض الأقفال التي كانت تعيق المرأة وتمنعها من التوسع في استقلاليتها.

من الواضح أن الوضع في المغرب العربي متقدم جداً عن الوضع في المشرق، حيث تعاني بعض الدول فيه من نكسات قانونية خطيرة، ساهمت بتفاقم العوامل التي تقف في وجه تحرر المرأة واستقلاليتها، وكذلك أمام تحسين وضعها وظروف حياتها. وهذا ينطبق تماماً على الحالة المصرية خلال الثمانينيات، والأخطر منه الوضع في العراق، حيث تجد المرأة نفسها اليوم رهينة التفسيرات والمعايير الدينية الأكثر تخلفاً على الإطلاق، على الرغم من أنها كانت قد تمكنت في سيتنيات وسبعينيات القرن الماضي من أن تحرز تقدماً كبيراً وتحسناً ملحوظاً في وضعها وظروف معيشتها، وإن كان ذلك يعتمد في حينها على درجة تحفظ الأنظمة السياسية والاجتماعية، فالانقسامات كانت ولاتزال موجودة في كل مكان.

ولهذ السبب بدأت قطاعات واسعة من التجمعات النسائية تحاول أكثر فأكثر مكافحة القوانين المتعسفة، التي تعيق تطور قدراتها واكتساب المهارات التي تؤهلها للمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية أو حتى الأسرية، وتسمح لها بتوسيع استقلاليتها. وإن كانت أشكال هذا الكفاح متعددة، فإن المطالَبات بشكل عام مشتركة، باستثناء بعض الأقليات التي تلتزم، طواعيةً أو مكرهةً، بالتفسيرات والقواعد الدينية الأكثر تخلفاً. هناك الكثير من النساء اللاتي يعملن في العالم العربي اليوم في مجال السياسة والأعمال، والكثيرات منهن مسؤولات عن جمعيات تتمتع بالحد الأدنى من الديمقراطية، والكثيرات منهن أيضاً يعملن في مجال الإدارة والجامعات. وفي بعض البلدان، تشكل النساء الغالبية العظمى من اليد العاملة في مجال الصحة والتعليم. كما أن عدد النساء اللاتي يرفضن القوانين التعسفية والتشريعات التي تمنع المرأة من ممارسة حقها في الحياة والمشاركة الفعالة في المجتمع والسياسة، يزداد بشكل مضطرد.

وإن كان جيل الشابات في العديد من الدول الغربية، يعتبر أن الأمهات حققن انتصاراً كبيراً، في حربهن للحصول على حقوقهن، وبأنه لم يعد لديهن الشيء الكبير ليحاربن من أجله، وهذا في بعض الأحيان غير صحيح، فإن جيل الشابات في الدول العربية، على العكس تماماً، يعتبر أن المرأة في هذه المجتمعات لم تحقق انتصارات تُذكر على هذا الصعيد. ولهذا السبب، بقيت المطالبات قوية، حتى إن قضية المرأة في المملكة العربية السعودية أصبحت موضع نقاش مستمر. وتسعى النساء في العالم العربي اليوم لتحصيل حقوق جديدة، كما هو الحال في الكويت، حيث استطاعت المرأة أخيراً في العام 2005 أن تحصل على حق التصويت.

في الدول التي سمح فيها التحديث بإيجاد توافق بين القانون والممارسات الاجتماعية الجديدة، كالحالة التونسية، باتت الحركات النسائية تقاتل على آخر جبهاتها من أجل تحقيق العدالة القضائية. وقد قامت جمعيتان نسائيتان في تونس بإطلاق حملة من أجل المساواة بين الجنسين في موضوع الميراث. وفي عام 2006، قامت مجموعة من الباحثين المتطوعين في هذه الجمعيات، بإعداد دراسة مهمة جداً حول موضوع المساواة بين الجنسين، وأطلقوا نداءً بهذا الخصوص يقوم على الفكرة التالية:

«حصول المرأة علaى حقها الكامل في العمل والأجور يمثل واقعاً جديداً، كما أنه يفرض تمثيلات والتزامات جديدة داخل الأسرة. وإذا ما أخذنا الجانب المادي في الأسرة وفي المجتمع، فإن حصول المرأة على حقها في العمل يجعلها شريكة فعالة في الإنتاج، وفي زيادة الدخل، وبالتالي في تحسين الوضع المعيشي، داخل الأسرة وفي المجتمع ككل. وقد أظهرت جميع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع أن عمل المرأة خارج حدود منزلها، يساهم في تعزيز استقلاليتها المادية، وقدرتها على بناء علاقات الشراكة الأسرية، ودعم الاستقلال الاقتصادي للأسرة، وكذلك تطوير مهاراتها في مواجهة صعوبات ومتطلبات الحياة العصرية. كما ويساهم عملها في تحقيق توازن الأسرة المادي وتحقيق مكانة اجتماعية متميزة، ويكسبها القدرة على تحمل مسؤولياتها تجاه أسرتها ومجتمعها على حد سواء».

وفي هذه الحالة، لابد من إحداث توافق بين هذا الحق، والممارسات الاجتماعية الجديدة، ولا سيما في الدول التي عملت على تحديث مجتمعاتها بشكل واسع.

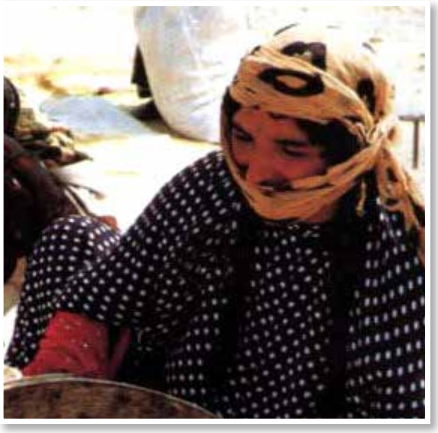

وأحدث مثال على التعبئة المستمرة في العالم العربي والمرتبطة بموضوع حقوق المرأة وتمكينها، يتعلق بالحملة الإقليمية التي أطلقتها الجمعيات النسائية والمدافعون عن حقوق الإنسان بصورة عامة، لإلغاء التحفظات التي نصت عليها معاهدة الأمم المتحدة عام 1979، والتي وقعت عليها جميع الدول العربية. وقد أطلقت هذه الحملة تحت مسمى «مساواة بلا أي تحفظ»، وذلك خلال لقاء تم في الرباط بين جميع من يعمل في الجمعيات والحركات النسائية، وكذلك في مجال حقوق الإنسان من كافة الدول العربية. وقد قام المجتمعون بإطلاق نداء إلى الحكومات في دول المنطقة، من أجل تعزيز المساواة بين الرجل والمرأة في الكرامة والحقوق، وكذلك في مجال الحقوق المدنية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، وأيضاً من أجل ضمان حق المرأة الكامل في المواطنة.

باختصار شديد، يتمثل المغزى من هذه الدراسة بإثبات أن الهوة بين نساء شمال البحر المتوسط ونساء جنوبه ليست بالحجم الذي نتخيله. لاشك أن نساء الشمال، مع بعض الاستثناءات، تمكّنّ من اكتساب مجموعة الحقوق التي تضعهن جنباً إلى جنب مع الرجل من الناحية القضائية، لكن في الحقيقة لا يوجد فارق بين طبيعة المطالبات التي تنادي بها النساء العربيات، وتلك التي تنادي بها النساء في الغرب، وآمالهن في التمكين متناظرة، إن لم تكن متطابقة.

ومع ذلك، فإن هذا لا يعني أن حجم عدم المساواة بين الجنسين في هذا الجزء من العالم قد تضاءل إلى حد كبير، لكن من المناسب أيضاً أن يتحاشى الغرب خطاب التعميم الذي يختزل صورة المرأة العربية، ويقلل من مكانتها بالاعتماد فقط على الخطابات والممارسات الأكثر تحفظاً وتخلفاً، فواقع المرأة العربية أفضل من ذلك بكثير، رغم جميع التعقيدات التي يعاني منها.

الفارق الحقيقي والوحيد هو حجم وطريقة المعالجة، خاصةً فيما يتعلق بقضية الحياة الجنسية، إذ مايزال هذا الموضوع يشكل أحد المحرمات في العالم العربي، وإن كانت بعض الدول قد أحرزت تقدماً في هذا المجال. ويتعلق الأمر هنا بالمجتمعات العربية التي عليها أن تقبل، عاجلاً أم آجلاً، طرح هذا الموضوع ومعالجته بما يتناسب مع تطلعات المرأة وطموحاتها.

المصدر: http://www.casaasia.es/dialogo/2006/esp/bessis.pdf

# «داعش» وعودة الماضي إلى الحاضر

• صبحي فرنجية

ظهور تنظيم الدولة الاسلامية «داعش»، أعاد إلى الأذهان مراحل تاريخية ظن المفكرون وعلماء الدين على حد سواء أنها أصبحت ذكرى. أعاد «داعش» إلى الواجهة جدلاً وحاجة لدراسة قضايا فقهية كان عامة المسلمين يحدثون بعضهم بها كقصص تراث، أو قل كقصص تاريخ أبعد عن الواقع، وأقرب إلى الخيال.

انتشر على شبكات التواصل الاجتماعي في الفترة الماضية فيديو لعناصر من تنظيم الدولة الإسلامية، يظهر فتاة تقف خاضعة لتنفيذ حكم خطيئة الزنا التي ارتكبتها، يطلب منها العنصر الاستغفار والتوبة قبل رجمها بالحجارة، نعم رجمها بالحجارة!!!

لسنا هنا بمعرض الحديث عن الفيديو، صحته، مشاهده القاسية، سيناريو مسرحية التوبة والاعتذار، ورضى الأب الحانق، نحن هنا لنمرر «حد الرجم» على ثلاثة مشارح: الشريعة، التاريخ والإنسان.

## في الشريعة

يختلف فقهاء الشريعة ومفكروها في العديد من القضايا، من بينها ارتباط الزمان والمكان والظرف بالآيات والحدود، فمنهم من يرى أن الحدود والمعاني في النص القرآني ثابتة لا تتحول مهما تغيرت الأحوال والأوقات، ومنهم من يرى أن النص ثابت، ولكن معناه متحول ومتغير بالتزامن مع حركة الزمن وتغير الظروف. ذهب البعض إلى أن ظرف الزمان قد يسمح بإيقاف مفعول آيات محددة في القرآن، كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب حين أوقف تطبيق حد السرقة في عام القحط والجوع. وحد الزنا أخذ نصيبه أيضاً من المراجعة والتدقيق والتفسير من كل الأطراف.

يرى كوكبة من الفقهاء أن الزنا له حدان، فإذا كان الزاني أو الزانية غير متزوج/ة فعقوبته/ا مائة جلدة أمام جمع من الناس، وأما إذا كان الزاني أو الزانية محصن/ة فعقوبته/ا الرجم حتى الموت، مستشهدين على ذلك بقصة رجم الرسول محمد (ص) للغامدية وماعز، طبعاً بعد توفر أربعة شهود ليسوا أقرباء أو أصدقاء، وهذا ما يجسد استحالة إقامة الحد. في حين يرى فقهاء آخرون أن عقوبة الزنا بحسب النص القرآني لا تحمل تمييزاً بين عازب/ة أو محصن/ة، وأن رجم الرسول محمد (ص) للغامدية وماعز كان قبل نزول الآية، لذلك اعتبروا أن عقوبة الرجم نُسخت (أُلغيت) بنزول الآية: «الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» (النور 2). وذهب البعض أبعد من ذلك، فقالوا إن قصة الرجم هي كلها تراث يهودي ولا وجود لها في الاسلام، وإن قصة الرجم الموجودة في التراث الاسلامي لا صحة لها، بل هي تراث توراتي أقحم في الفقه الإسلامي.

يقول المفكر الإسلامي محمد حبش: «الرجم عقوبة قاسية وغير رحيمة، ذكرت في التوراة في سفر التثنية، ثم نسخها السيد المسيح، ولم يرد لها أي ذكر في القرآن، على الرغم من نصه الصريح على عقوبة الزناة». ويذكر الدكتور محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن» أن حدي الزنى الأعلى والأدنى وضعا في نقطة واحدة، وهو مائة جلدة، وأشار شحرور أن شروط إقامة الحد مناطة بالبينات بحسب التعبير القرآني، وهي «أربعة شهود» و«الملاعنة».

وما بين اختلاف الجميع، سُفكت دماء، وأقيمت حدود تجعلك تقف أمام مقولة الرسول محمد (ص) المشهورة: «اختلاف أمتي رحمة» بدهشة واستغراب.

## في التاريخ

وجود تنظيم كـ «داعش» في التاريخ المعاصر يعيد للأذهان حقباً تاريخية قديمة كنا نستعرضها في صفحات الكتب والمقالات البحثية، فما أشبه اليوم بالأمس. في القرون الوسطى استولى «كروميل» على الحكم في بريطانيا، وادعى أن حكمه ينبع من رؤية حقيقية للدين المسيحي، أوقف دور المسارح، منع الغناء، أقام الحدود على الناس، أحرق آلاف النساء بتهمة الشعوذة، وقتل مئات من الشباب والشابات في البلاد بتهمة العشق الممنوع، منع الأب من ملاعبة أطفاله في الشوارع. بل ذهب أبعد من ذلك، قسم الناس إلى فائزين (في الجنة) وخاسرين (إلى النار)، واعتبر أن رأس السلطة هو المخلص. عشرون عاماً مرت حتى قتل «كروميل»، ليستغرق البريطانيون مئات

السنوات، وهم يحاولون الخلاص من عقد خلفها «كروميل» في نفوسهم، ويرى علماء أن الشعب البريطاني حتى اللحظة لم يتخلص من بعضها.

وها هو «داعش» يعيد إلينا صوراً من التاريخ، لتعصف بنا، وتعيدنا مرة أخرى لإشكاليات كنا نراها انتهت، أهملها مفكرون وعلماء فقه، وطمسوا ذكرها بالحديث عن تفاصيل في العبادة، أعادها «داعش» إلى تاريخنا بدم وقسوة.

التاريخ لا يرحم، ولا ينسى، ولَا يغلق الفجوات، لذا يترتب على المفكرين والفقهاء أن يعيدوا ترتيب الحكاية بعقل وروية، ويعترفوا أن ما أهمله السلَفْ، جناه الخلَفْ. عليهم الوقوف أمام حقيقة تقول إن حد الرجم ليس إشكالية فكرية فقط، بل فِعْلٌ أيضاً، الدماء بدأت تسيل، والحجارة تتطاير فوق رؤوسنا معلنةً بدء مرحلة قد نستغرق مئات السنوات في نسيانها، إذا لم يتداركوها.

**في الإنسان**

يقف حد الرجم على النقيض تماماً من تكوين الإنسان، فهل يتناسب قتل الإنسان على خطيئة كالزنى طرداً مع وجوده وتكوينه؟ لا نعني بكلامنا أن الخيانة الزوجية (زنى المحصن/ة) أمرٌ طبيعي لا تترتب عليه عقوبات، لكن ما نرمي إليه هو ألا تكون عقوبته القتل، وأي قتل، رمي بالحجارة أمام أعين الناس!!

إذا ما خان الزوج زوجته أو العكس، فهذا يدل على تراجع العلاقة بينهما ونهايتها، وهناك محاكم تقضي بعقوبة الجاني/ة، وذلك بإعلان الطرف الآخر تخليه عن الجاني/ة بعد تكشّف الحقيقة.

الخيانة الزوجية أمر إنساني، يرتبط بالنسيج الاجتماعي، وليس جرماً كالقتل أو السرقة، لأحد الطرفين حريته في إنهاء نسيجه الأسري عندما يتخذ من الخيانة الزوجية طريقاً، وللطرف الآخر حريته في استنكار الفعل والرد عليه بإنهاء ذلك النسج الذي مزقه الآخر.

أما أن تتحول قضية الخيانة الزوجية إلى جرم يستوجب القتل، الإعدام، وبطريقة لا ترقى أن تتناسب مع مكانة الحيوان، فذلك ما ينذر إنسانياً بتردي إدراكنا لأنفسنا. لا ينبغي أن تتحول المشاكل الزوجية إلى قضايا أمة يعاقب عليها الزوج/ة بالموت.

## السيـداو

CEDAW

لأهميتها، تقوم مجلة «سيدة سوريا» بنشر اتفاقية السيداو على أجزاء، بدءاً من العدد الثاني.

**المادة 18**

1. تتعهد الدول الأطراف بأن تقدم إلى الأمين العام للأمم المتحدة، تقريراً عما اتخذته من تدابير تشريعية وقضائية وإدارية وغيرها من أجل إنفاذ أحكام هذه الاتفاقية وعن التقدم المحرز في هذا الصدد، كيما تنظر اللجنة في هذا التقرير وذلك:

(أ) في غضون سنة واحدة من بدء النفاذ بالنسبة للدولة المعنية.

(ب) وبعد ذلك كل أربع سنوات على الأقل، وكذلك كلما طلبت اللجنة ذلك.

2. يجوز أن تبين التقارير العوامل والصعاب التي تؤثر على مدى الوفاء بالالتزامات المقررة في هذه الاتفاقية.

**المادة 19**

1. تعتمد اللجنة النظام الداخلي الخاص بها.

2. تنتخب اللجنة أعضاء مكتبها لفترة سنتين.

**المادة 20**

1. تجتمع اللجنة، عادة، على مدى فترة لا تزيد على أسبوعين سنوياً للنظر في التقارير المقدمة وفقاً للمادة 18 من هذه الاتفاقية.

2. تعقد اجتماعات اللجنة عادة في مقر الأمم المتحدة أو في أي مكان مناسب آخر تحدده اللجنة.

**المادة 21**

1. تقدم اللجنة تقريراً سنوياً عن أعمالها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بواسطة المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ولها أن تقدم مقترحات وتوصيات عامة مبنية على دراسة التقارير والمعلومات الواردة من الدول الأطراف. وتدرج تلك المقترحات والتوصيات العامة في تقرير اللجنة مشفوعة بتعليقات الدول الأطراف، إن وجدت.

2. يحيل الأمين العام تقارير اللجنة إلى لجنة مركز المرأة، لغرض إعلامها.

**المادة 22**

يحق للوكالات المتخصصة أن توفد من يمثلها لدى النظر في تنفيذ ما يقع في نطاق أعمالها من أحكام هذه الاتفاقية. وللجنة أن تدعو الوكالات المتخصصة إلى تقديم تقارير عن تنفيذ الاتفاقية في المجالات التي تقع في نطاق أعمالها.

**المادة 23**

ليس في هذه الاتفاقية ما يمس أية أحكام تكون أكثر مواتاة لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، تكون واردة:

(أ) في تشريعات دولة طرف ما.

(ب) أو في أية اتفاقية أو معاهدة أو اتفاق دولي نافذ إزاء تلك الدولة.

**المادة 24**

تتعهد الدول الأطراف باتخاذ جميع ما يلزم من تدابير على الصعيد الوطني تستهدف تحقيق الإعمال الكامل للحقوق المعترف بها في هذه الاتفاقية.

**المادة 25**

1. يكون التوقيع على هذه الاتفاقية متاحاً لجميع الدول.

2. يسمى الأمين العام للأمم المتحدة وديعاً لهذه الاتفاقية.

3. تخضع هذه الاتفاقية للتصديق، وتودع صكوك التصديق لدى الأمين العام للأمم المتحدة.

# ما الذي قدمه الإعلام لتنظيم الدولة الإسلامية

• جلال زين الدين

أصبح الإعلام أبرز الأسلحة المستخدمة في الحروب والسيطرة على عقول الشعوب، وبقدر ما يلعب الإعلام دوراً إيجابياً بإمكانه لعب دور سلبي، وقد أربكت الأحداث المتسارعة والصراعات التي تشهدها المنطقة العربية الإعلام العربي المملوك أغلبه للأنظمة المستبدة والفاسدة، فتمسُّك الإعلام العربي بالخطاب الخشبي على مدى عقود، وتجاهله هموم المواطن أفقده المصداقية في الشارع العربي، ونُظر إليه كأداة طيعة في يد المستبد، وبات المواطن يشك بأي خطاب يصدر عن هذا الإعلام.

الأحداث التي تشهدها المنطقة أوقعت الإعلام في حيرة بالغة، فتارة يقف مع التغيير العربي وتارة يحاربه، مشى يغطي الأحداث تغطية عرجاء، فلم يقدم الصورة الحقيقية أو يطرح الحلول الناجعة، وبالتالي لم يقدم الرسالة المأمولة منه.

ولعل من الخطايا الكبرى التي وقع فيها الإعلام تناوله وتغطيته لظاهرة تنظيم الدولة الإسلامية بطريقة أقل ما يقال عنها إنها فاشلة، فمنذ البداية ابتعد الإعلام عن المهنية والتوصيف الدقيق، سمى«تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام» بـ «داعش»، وحجّم من إمكانات تنظيم الدولة وقدراته، ليتفاجأ بين عشية وضحاها بالتنظيم وهو يبسط سيطرته على قسم كبير من دولتين كانتا حتى وقت قريب تملكان أقوى الجيوش العربية.

وتفاجأ الإعلام بحجم التطرف والتشدد عند هذا التنظيم فأصبح الإعلام يشتم ويهاجم دون خطاب عقلاني ولا تغطية موضوعية، ووجه رسالته دون استراتيجية واضحة، فقدم دون أن يشعر خدمات جليلة للتنظيم.

ومن الأخطاء التي وقع فيها الإعلام، أنه تجاهل بداية خطر التنظيم، وقدمه للجمهور على أنهم فئة قليلة ضمن صفوف الثوار، مما سمح للتنظيم بالتمدد بشكل مريح وخفي، حتى تمكن من السيطرة على مساحات واسعة.

قدم الإعلام التنظيم على أنهم عناصر أجنبية لا رابط بينها جاءت لنصرة الثورة السورية، وتعامى عن حقيقة وطريقة انضمام كل هذه الجنسيات تحت قيادة تملك التحكم والسيطرة، أي قيادة لها أهداف استراتيجية، وتخطط لبناء مشروعها الخاص مستغلة الأحداث الجارية.

تحدث الإعلام عن النتائج (ظهور التنظيم وأعماله) وتجاهل الأسباب الموضوعية التي أدت لنشوئه أولاً، ولتمدده ثانياً، ولتطرفه ثالثاً.

كما تجاهل الإعلام الإيجابيات الموجودة في التنظيم، وصوره على أنه شيطان لا يرجى منه خير أبداً. ضخم الأخطاء البسيطة لممارسات التنظيم وتجاهل الموبقات التي يقوم بها. شوه ما يسمى الأحزاب الدينية، ورفض وحارب كل من ينطلق من خلفية إسلامية. كما ضخ الإعلام أخباراً كاذبة وخيالية عن التنظيم في وقت كانت فيه الحقائق كافية للاستغناء عن صناعة الخبر الكاذب.

من خلال النقاط السابقة نلحظ كيف خدم الإعلام بخطابه الأعرج تنظيم الدولة الإسلامية فتصويره التنظيم بداية على أنهم فئة تهدف لنصرة الثورة فقط، دفع الكثير من أصحاب الحمية الدينية والنخوة العربية للانخراط في صفوفه، وبمجرد انخراطهم تمت عملية غسل الدماغ والشحن العقائدي. وكان هؤلاء الأوائل أشرس مقاتلي التنظيم، لأنهم انتسبوا عن عقيدة ومبدأ، لا عن مصلحة.

تعامي الإعلام حتى اليوم عن الظروف الموضوعية لنشوء التنظيم من مظلومية وإرهاب وقمع للحريات وحرمان من الحقوق جعلت المعالجة فاشلة، وستستمر بفشلها، فالإعلام يجب عليه أن يبحث عن الأسباب والتفاصيل الدقيقة لأن النتائج يعرفها الجميع.

بُرمج العقل العربي على الإيمان بنظرية المؤامرة، ورسخ في ذهنه أن كل شاردة وواردة تحدث في المنطقة وراءها مؤامرة. وأسهم الإعلام في ذلك، فعندما يتغاضى الإعلام عن بعض الإيجابيات للتنظيم من بسطه للأمن وملاحقته للصوص في مناطق السنة و.. وتصويره على أنه شيطان، جعلت الكثيرين ممن يخضعون لسيطرة التنظيم ينظرون بعين المؤامرة لهذا الإعلام، لأنه تعامى عن هذه الإيجابيات، وتناسى أنه ما من شر مطلق، وأنه من الطبيعي أن تكون للتنظيم حسنات حتى يستمر وينمو. ونذكر كلنا كيف روج الإعلام وما زال يروج لتحالف التنظيم مع النظام السوري، لتأتي معارك التنظيم مع النظام وتنسف هذا الخطاب الإعلامي من أساسه،

ولتعيدنا للقيادة التي يمتلكها التنظيم، والتي تمتلك التحكم والسيطرة، وليثبت الواقع أنه يسير وفق خطة استراتيجية.

ولعل الخطيئة الكبرى التي تناولها الإعلام، تتمثل بتسليط الضوء على أخطاء التنظيم في تطبيق الشريعة الإسلامية، فالشارع العربي«المسلم السني» في غالبيته عاطفي ويميل لكل من يرفع الشعارات الدينية ويطبق أحكام الإسلام، والإعلام بدلاً من أن يتحدث عن أخطاء التنظيم في فهم الدين، قام بتشويه الدين، أي إنه بدلاً من تحدثه عن أخطاء التنظيم بطريقة فرض الحجاب وإقامة الحدود و... صور هذه الأعمال على أنها من مخلفات الماضي التي لا تصلح لهذا العصر، مما ولد ردة فعل لدى شريحة كبيرة، فالإسلام يصلح لكل زمان ومكان، وكان ينبغي أن يتوجه النقد للجوهر أي للفكر الذي يمتلكه التنظيم ويجعله يمارس الإسلام بطريقة خاطئة. كان ينبغي تسليط الضوء على الفكر التكفيري المتطرف الذي يرفض الآخر ويسيء تطبيق الإسلام، فالفكر الخاطئ هو الذي دفع لهذه الممارسات الخاطئة والتطرف، وهذا أسهم بإيمان شريحة أخرى بالمؤامرة على الإسلام نتيجة سطحية الخطاب الإعلامي.

تشويه الإعلام لأصحاب التوجه الإسلامي المعتدل ومحاربتهم له وشيطنته جعلهم ينتقلون لخندق التطرف، وقد حصل ذلك في سوريا بوضوح، فأغلب الفصائل الإسلامية في سورية كانت ذات توجه إسلامي معتدل. ضخ الأخبار الكاذبة المضحكة التي تتحدث عن سوق للجواري، وتجاهل الأخبار الحقيقية مثل تصفية شخصيات لها ثقلها ووزنها في الشارع السوري، وتكفير التنظيم للثوار جعلت مصداقية الإعلام على المحك.

ويستمر الإعلام بخطيئته، بتصوير التنظيم كعدو لدود لأمريكا والغرب، مما يسهم بخلق قاعدة شعبية للتنظيم انطلاقاً من كره الشارع العربي للغرب وأمريكا، نتيجة الإرث الاستعماري والدعم المستمر من هذه القوى لإسرائيل، ناهيك عن عرقلتها لمسيرة الانتقال السياسي في الوطن العربي والوقوف في بوجه تطلعات الأمة العربية، واليوم التنظيم يستثمر ضربات التحالف ويستقطب عناصر جدد تحت شعار معاداة الغرب.

باختصار ينبغي على الإعلام التحلي بالمهنية والمصداقية والموضوعية، والانطلاق من الحقيقة وذلك كاف، أما غير ذلك فإنه يسهم بدعم التطرف وتغذيته.

## عشرات البريطانيات يلتحقن بتنظيم «الدولة» و«وحدة شرطة الشريعة» للدولة الإسلامية بقيادة «محمود الأقصى»

• فريق ترجمة سيدة سوريا

انضمت قرابة 60 امرأة بريطانية إلى «وحدة شرطة الشريعة النسائية» في الدولة الإسلامية «داعش»، ليعاقبن أولئك المخالفين لقواعد الشريعة المتشددة.

من المعتقد أن لواء الخنساء يعمل في مدينة الرقة السورية، التي تسيطر عليها ميليشيات «داعش» وتعد مقرهم الرئيسي، ووفقاً لجمعية «بحث وتحليل الإرهاب (TRAC)»، فإن هذه الميليشيا تأسست في بداية هذا العام، للمساعدة في كشف الناشطين الذكور، الذين يتنكرون في زي نساء، لتجنب إلقاء القبض عليهم. معظم النساء البريطانيات اللواتي ذهبن إلى مناطق الحرب للقتال تتراوح أعمارهن بين 18-24 عاماً. وتفيد صحيفة «التيليغراف»، أن أكثر من ثلاثة نساء يعتقد أنهن انضممن إلى وحدات عسكرية.

«المركز الدولي لدراسة التطرف» يقول إنه رصد 25 امرأة جهادية بريطانية، تركن حياتهن في بريطانيا لدعم «داعش».

وتفيد تقارير لـ «جمعية بحث وتحليل الإرهاب» أن النساء في هذا اللواء يتلقين رواتب وقدرها 25000 ليرة سورية شهرياً (أي ما يقارب 100 جنيه استرليني)، مقابل واجبات ليس لها علاقة بأعمال إرهابية بل عمليات تمرد، وهو لواء مؤلف من النساء فقط، إضافة إلى لواء آخر، هو لواء «أم ريان»، الذي تأسس تقريباً في نفس الوقت.

ووفقاً لموقع «Syria deeply»، فقد تم تكليف «لواء الخنساء» بالتضييق على المدنيات اللواتي لا يتقيدن بالشعائر الدينية الصارمة للشريعة المطبقة من قبل «داعش»، بما في ذلك النساء المنقبات بشكل كامل ويرافقهن رجالهن.

وفي تصريح لقيادي في «داعش» بالرقة، قال: «لقد شكلنا هذا اللواء لتوعية النساء بديننا، ولمعاقبة اللواتي لا يتقيدن بالقوانين».

ويضيف: «هناك نساء فقط في هذا اللواء، ولقد أعطيناهن منشآت خاصة بهن، لمنع اختلاطهن بالرجال».

بتصرف

http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/isis-british-women-running-sharia-police-unit-for-islamic-state-in-syria-9717510.html

# الحصبة

• فريق تحرير سيدة سوريا

## أولاً: تعريف الحصبة

تعد الحصبة من الأمراض التي يسببها بشكل أساسي التهاب في المسالك الهوائية التنفسية ناجم عن فيروس شديد العدوى. ومن الأعراض التي ترافق مرض الحصبة: السعال، الزكام، تهيج العينين واحمرارهما، آلام في الحلق، ارتفاع درجة حرارة الجسم وطفح على شكل بقع حمراء تظهر على الجلد.

من الممكن أن يكون داء الحصبة خطيراً جداً وقد يتسبب بالموت لدى الأطفال الرضّع. وتشير التقديرات إلى أن نحو 30 – 40 مليون حالة من مرض الحصبة تحدث سنوياً في مختلف أنحاء العالم، وأن عدد الوفيات بسببه يصل سنوياً إلى نحو مليون شخص.

## ثانياً: أعراض الحصبة

تشمل الأعراض المصاحبة لمرض الحصبة ظهور طفح جلدي على شكل بقع كبيرة حمراء اللون، تظهر هذه البقع عادةً بعد 10–12 يوماً من التقاط الفيروس.

**أما باقي الأعراض فهي:**

- الحمى.
- السعال الجاف.
- الزكام وإفرازات مخاطية غزيرة من الأنف.
- التهاب الملتحمة.
- حساسية زائدة من الضوء.
- ظهور نقاط صغيرة بيضاء اللون، ذات مركز أبيض مزرق، تظهر عادةً، داخل الفم، في الجهة الداخلية من الخدين، وتدعى «بقع كوبليك».
- ظهور طفح في الجلد يتكون من بقع كبيرة حمراء اللون تتداخل أحياناً في بعضها البعض.

يبدأ داء الحصبة غالباً، بظهور حمّى بسيطة ثم تزداد تدريجياً، ترافقها أعراض أخرى مثل: سعال متواصل، زكام، تهيج في العينين واحمرار (التهاب الملتحمة) وآلام في الحلق. بعد يومين أو ثلاثة تبدأ بقع كوبليك بالظهور، وهي العلامة الأكثر وضوحاً ودلالة على الإصابة بداء الحصبة.

بعد ذلك، ترتفع درجة حرارة الجسم أكثر، حتى تصل أحياناً إلى 40 أو 40.5 درجة مئوية. في المقابل، يبدأ الطفح المتمثل بالبقع الحمراء الكبيرة بالظهور، عادةً تبدأ في منطقة الوجه، على طول خط الشعر وما وراء الأذنين. ويثير الطفح حكة بسيطة، تبدأ بالنزول إلى أسفل منطقة الصدر والظهر، وبعد مرور أسبوع تنزل إلى ما تحت الفخذ وحتى أخمص القدم.

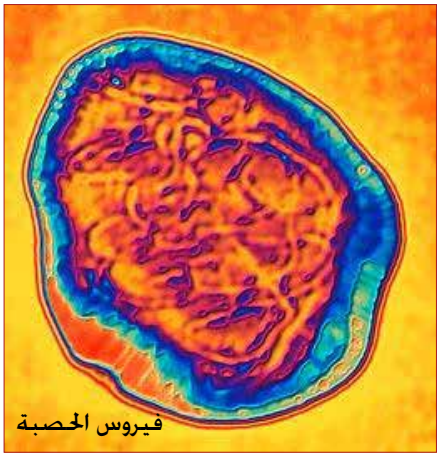

فيروس الحصبة

## ثالثاً: أسباب ومضاعفات الحصبة

العامل المسؤول عن نشوء مرض الحصبة هو فيروس الحصبة، وهو فيروس معدٍ إلى حد كبير، وقد يتم نقل المرض إلى ما يقارب 90% من المحيطين بالمصاب به، خاصةً أولئك الذين لم يتم تلقيحهم ضد الفيروس. يعيش هذا الفيروس في الجيوب الأنفية وفي الفم لدى المصاب بداء الحصبة، ويمكن أن يتم نقل المرض في فترة تتراوح بين أربعة أيام قبل ظهور الطفح حتى أربعة أيام بعد ظهوره.

وينتقل المرض عن طريق الهواء، فعندما يسعل المصاب أو يعطس أو يتكلم، تنتشر قطرات صغيرة من اللعاب الحاملة للفيروس في الهواء، وبهذه الطريقة، يمكن لكل من يتواجد في المحيط أن يستنشقها ويصاب بالعدوى. كما يمكن لهذه القطرات الحاملة للفيروس أن تتساقط على أسطح تحيط بالمصاب، حيث يبقى الفيروس فعالاً ومعدياً لمدة تصل حتى أربع ساعات. وهكذا يمكن انتقال العدوى بالفيروس عن طريق إدخال الأصابع إلى داخل الفم أو الأنف بعد لمس السطح الملوث بالفيروس. وعند دخول الفيروس إلى الجسم، يبدأ بالتكاثر في خلايا النسيج المخاطية في الحنجرة والرئتين، ثم الانتشار في جميع أنحاء الجسم، بما في ذلك الجهاز التنفسي والجلد.

في حال كان شخص ما قد أصيب من قبل، بمرض الحصبة، فإن جسمه ينتج أضداداً (An-tibodies) في جهاز المناعة لمحاربة التلوث،

ما يعني أنه لا يمكن ان يصاب بالحصبة مرةً ثانية. داء الحصبة أكثر انتشاراً في الدول النامية، وخاصةً في المجتمعات التي تعاني من النقص في فيتامين أ (Vitamin A) وكذلك بسبب سوء التغذية.

## مضاعفات الحصبة

تستمر الإصابة بمرض الحصبة مدة تتراوح بين 10 إلى 14 يوماً، وتشمل مضاعفات الحصبة، عادة:

• **التهاب الأذنين:** يسبب مرض الحصبة التهابات الأذنين لدى واحد من كل عشرة أطفال يصابون به.

• **التهاب السحايا:** واحد من كل ألف مصاب بداء الحصبة، تقريباً، قد يصاب بالتهاب السحايا، وهو التهاب يصيب الدماغ جراء عدوى فيروسية (Viral infection) تسبب القيء، الاختلاج (Convulsion) والتشنج (Spasm) كما قد تؤدي، في حالات نادرة، إلى غيبوبة (Coma). وقد يظهر التهاب السحايا خلال وقت قصير بعد ظهور الحصبة، وقد يظهر بعد ذلك ببضع سنوات، في سن المراهقة نتيجة لعدوى فيروسية بشكل بطيء.

• **التهاب رئوي:** واحد من كل 15 مصاب بداء الحصبة سوف يصاب بالتهاب رئوي، وقد يكون مميتاً.

• **إسهال وقيء:** مضاعفات كهذه هي الأكثر انتشاراً لدى الأطفال والرضع.

• **التهاب الشعب الهوائية (Bronchi-tis)، التهاب البلعوم (Pharyngitis) أو الخناق (Diphtheria):** قد يؤدي مرض الحصبة إلى الإصابة بالتهاب الحنجرة (Laryngitis) أو التهاب الغشاء المخاطي في الجوانب الداخلية من القصبات الهوائية الرئيسية في الرئتين.

• **اضطرابات الحمل:** على النساء الحوامل توخي الحذر الشديد في كل ما يتعلق بداء الحصبة، والحرص الشديد على عدم التعرض للفيروس، لأن ذلك قد يؤدي إلى الإجهاض، أو إلى ولادة أطفال قليلي الوزن عند الولادة.

• **انخفاض عدد صفائح الدم (Throm-bocytes):** قد يؤدي داء الحصبة إلى

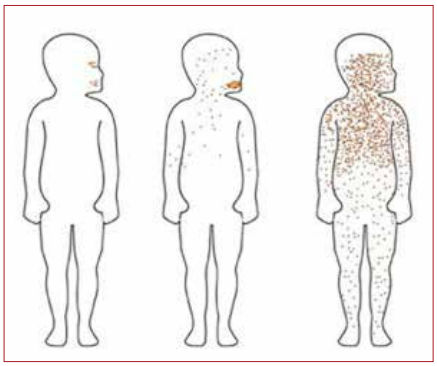

انخفاض في عدد صفائح الدم، وهي الخلايا الضرورية لتخثر الدم (Coagulation).

## تشخيص الحصبة

باستطاعة الطبيب المعالج تشخيص مرض الحصبة وفقاً للأعراض الواضحة التي تصاحب داء الحصبة، مثل الطفح، النقاط البيضاء ذات المركز الأبيض/ الأزرق الفاتح داخل الفم في الجهة الداخلية من الخد. وقد يحتاج الطبيب في بعض الأحيان إلى فحص عينة من الدم حتى يتأكد من تشخيص الحصبة.

## علاج الحصبة

عندما يكون داء الحصبة في مرحلته الفعالة، لا يوجد علاج يساعد في التخلص منه. لكن، بالإمكان تلقيح الرضع غير الملقحين ضد الفيروس بعد نحو 72 ساعة تقريباً من التعرض إلى الفيروس، بغية تزويدهم بالمناعة الضرورية ضد الفيروس. يمكن للنساء الحوامل، الأطفال والأشخاص من ذوي جهاز المناعة الضعيف

الذين تعرضوا لفيروس الحصبة أن يحصلوا على حقن البروتينات (الأضداد Antibodies) التي قد تساعد في محاربة الفيروس. اللقاح يدعى مصل مناعي على أساس الغلوبولين (Glob-ulin). هذه الحقنة تعطى على مدار 6 أيام من لحظة التعرض لفيروس الحصبة، حيث تستطيع هذه الأضداد أن تساعد في منع الإصابة بداء الحصبة، أو تخفف من حدة الأعراض المرافقة له. إذا كانت الإصابة بمرض الحصبة مصحوبة بعدوى جرثومية (Bacterial Infec-tion)، مثل الالتهاب الرئوي (pneu-monia) أو التهاب الأذن (Otitis)، فقد يقرر الطبيب المعالجة بواسطة مضادات حيوية (Antibiotics). ولأن داء الحصبة معد جداً، فإن عزل المصاب به يمكن أن يشكل إجراءً علاجياً إضافياً لمواجهة الداء، يجب عزل المريض لمدة تمتد من 4 أيام قبل ظهور الطفح وحتى 4 أيام بعد ظهوره، كما يفضل ألا يعمل المصابون بالحصبة قرب أشخاص آخرين خلال هذه المدة الزمنية. بالإضافة إلى ذلك، يستحسن أيضاً أن يتم إبعاد المصاب بالحصبة عن الأشخاص المحيطين، مثل الأخوة والأخوات غير الملقحين ضد فيروس الحصبة.

## الوقاية من الحصبة

10% من الأشخاص، يعانون عادةً من الحمى لمدة تتراوح بين 5 إلى 12 يوماً بعد تلقي اللقاح. كما أن اللقاح الذي يعطى ضد داء الحصبة يعطى، بشكل عام، كلقاح مدمج في «تطعيم ثلاثي» (MMR) يشمل، أيضاً، لقاحين ضد مرضي الحصبة الألمانية/الحميراء (Rubella)، والنكاف (Mumps). هذا اللقاح مكون من التركيبة الأكثر فعالية لكل واحد من هذه التطعيمات. عندما يعطى فيروس الحصبة المجدد لطفل في إطار التطعيم الثلاثي MMR، فإنه يتكاثر مسبباً عدوى غير ضارة، حتى قبل أن يحاول الجهاز المناعي القضاء عليه. هذه العدوى غير الضارة تؤدي إلى تكوين مناعة ضد فيروس الحصبة لدى 95% من الأطفال لمدى الحياة. أما الـ 5% الذين لم يتمكنوا من تكوين مناعة في التطعيم الأول، فيفضل إعطاؤهم جرعة ثانية من اللقاح.

# الأرانب وسيلة لكسر الحصار
## تربية الأرانب تتغلب على سياسة التجويع

• فريق تحرير سيدة سوريا

في ظل الحصار المطبق الذي فرضه النظام على بعض المناطق، خاصة في جنوب سوريا، ابتدع السوريون أساليب جديدة للتغلب على هذا الحصار، من أجل الحفاظ على حياتهم في سياق معركة البقاء تلك. لقد أظهرت هذه الأساليب مقدار الإصرار والتصميم الذي يمتلكه الشعب السوري، كما أظهرت مقدرته على خلق الحياة، والتغلب على العقبات، من خلال اللجوء إلى أبسط الوسائل المتاحة، لتوفير أكبر قدر من المواد المتوفرة في البيئة المحلية، بغية مساعدة أكبر قدر من الناس المحاصرين في التغلب على مصاعب الحياة في ظل هذه الظروف بالغة القسوة.

من هنا، قام السوريون بعدة مشاريع، ملتجئين إلى وسائل بدائية، ترتكز على ما هو متوافر بين يديهم، كزراعة أسطح المنازل بالخضراوات، أو تدوير النفايات من أجل توليد الغاز المنزلي، وفي بعض الأحيان لجؤوا إلى صهر البلاستيك للحصول على النفط من أجل توليد الوقود.

كما استفادوا من تجارب الشعوب التي مرّت بظروف الحصار التي يمرّون بها اليوم، ومن بين هؤلاء أخوتنا الفلسطينيون في غزة المحاصرة، الذين يعانون حصاراً شديداً منذ سنوات، الأمر الذي دفعهم لتربية الأرانب على سبيل المثال، بغية الحصول على اللحوم الحمراء، فضلاً عن أنهم اعتمدوا على هذا النوع من المشاريع، كنوع من المشاريع الصغيرة لإعالة أسر الشهداء ومعاقي الحرب، الذين خلّفهم العدوان الإسرائيلي المستمر على غزة، فكانت هذه المشاريع من النوع الذي يسهل على النساء إدارته والإيفاء بمتطلباته، ما ساعدهن على تجاوز الضائقة المادية التي كنّ يعانيها.

### تربية الأرانب نفقات ضئيلة بمردود جيد

لم تكن ثقافة تناول لحوم الأرانب متداولة في مجتمعنا السوري، الذي درج على تناول لحم الدجاج الأبيض، الديك الرومي، والسمك كلحوم بيضاء، فيما اعتادوا على تناول لحم العواس، العجل وفي بعض المناطق لحم الجمل كلحوم حمراء. غير أن ظروف الحياة قد تغيرت خلال أربع سنوات من عمر الثورة السورية، عانت خلالها غوطة دمشق سنتين من الحصار، مات فيهما العديد من الأشخاص جوعاً، خاصة بعد أن قصفت بالمواد الكيماوية، ما أدى إلى وفاة أكثر من 1700 شخص، ونفوق المواشي، فضلاً عن تلويث البيئة.

لكل هذه الأسباب، لجأ بعض الأهالي قي منطقة الغوطة الشرقية إلى تربية الأرانب، انطلاقاً من عدة أسباب، أهمها سرعة تكاثرها، واعتمادها على المواد المتوافرة في البيئة المحلية، ما يجعلها ذات مردود اقتصادي جيد.

يرى الطبيب البيطري أحمد حلاق أن «مشروع تربية الأرانب، هو مشروع مجدٍ اقتصادياً، السبب يعود إلى قدرتها على التوالد السريع، وبتكلفة قليلة، فمن الممكن الحصول على عشر مواليد أو أكثر خلال 45 يوماً».

وعن الغذاء الذي تتناوله يرى الطبيب البيطري أن الأرنب «يستهلك أي غذاء أخضر، كما أن نسبة التحويل عالية، لذلك فهو مجدٍ اقتصادياً، والأرنب قادر على العيش في مختلف الظروف، وقد كانت هناك تجربة لمصر في تربية الأرانب في المنازل، أو على الأسطحة لحل مشكلة البروتين الحيواني في مصر، وهي أهم التجارب في هذا المجال».

أما عن الغذاء الذي تعتمد عليه الأرانب، فيرى الطبيب البيطري أحمد حلاق أن «الأرنب يأكل أي شي من الخضروات، ويمكنه الاعتماد على بقاياها كحلّ أكثر توفيراً، يمكن أن يأكل من الحشائش الموجودة في الأرض»، ويضيف: «بشكل عام تغذية الأرنب أقل تكلفة من جميع الحيوانات الداجنة، ويجب الانتباه لأن الأرنب يكره الشمس، لذا يفضّل أن تكون الحظيرة في مكان ظليل».

عن أهم الأمراض التي يمكن أن تتعرض لها الأرانب بشكل عام، يقول الطبيب البيطري أحمد حلاق إن أهم الأمراض هي الطفيليات الداخلية من نوع «كوكسيديا»، والطفيليات الخارجية تلاحظ بكثرة عند الأرانب وأكثرها شيوعاً هي الجرب، فضلاً عن أنواع فطرية مختلفة، وهي تؤثر على الجدوى الاقتصادية في حال تم إهمالها، خاصة وأنّ علاجها بسيط عن طريق الرش، أو بالتعقيم.

كما ينبّه إلى ضرورة الانتباه إلى عدم ملامسة الأرنب المصاب بأي نوع من هذه الأمراض من قبل الإنسان، إلا بعد ارتداء لباس محدد للحظيرة، وقفازين خاصين، وتعقيم كامل اللباس، ويشير إلى أن تأثيرها على الجدوى الاقتصادية يكمن من حيث قلة الشهية عند الأرنب، وزيادة الحركة، وبالتالي «قلة التحويل» وهو مصطلح للكناية عن اكتساب الوزن لدى الحيوانات الداجنة. إضافة إلى ذلك، هناك الإسهالات والتهابات الأمعاء المختلفة، وتلاحظ عند الأرانب حديثة الولادة.

## «سوريون وسنكون» تجربة فريدة لكسر الحصار عن الغوطة الشرقية

إدراكاً منهم لأهمية الأرانب، ودورها في توفير مصادر جديدة للغذاء، أطلق مجموعة من ناشطي الغوطة الشرقية مشروعاً تحت عنوان «الأرنب شريك الخوف والولادة»، من مدينة جوبر، وبأعداد قليلة لا تتجاوز 150 من إناث الأرانب، وأطلقوا على الحملة اسم «سوريون وسنكون».

يقول نجيب، أحد مطلقي الحملة: «إن أهمية هذا المشروع تأتي من كون أنثى الأرنب تضع ما بين 6-12أرنب كل أربعين يوماً، وبعد أن وصل الحال بالمدنيين في المنطقة الممتدة من ريف الغوطة في ريف دمشق إلى حرستا وجوبر في مدينة دمشق، إلى حدود من القسوة التي فرضها واقع الموت جوعاً، بدأ الأهالي يفكرون بخيارات تسعفهم، ولو بعد حين، من موجات الجوع والغلاء المستمرة ، فعملوا على مشاريع تتعلق بالقمح والشعير. إلا أن النظام تعمّد حرق المحاصيل قبل أوان حصادها العام الفائت، رغم ضآلة المساحات المزروعة. لذلك، وضمن نفس السياق في اتباع سياسة السعي نحو الاكتفاء الذاتي، تم الاتفاق على تربية الدواجن، بعد أن تعمّد النظام خلال مداهماته السابقة قتل أو سرقة الأبقار والأغنام، وكل ما وقع تحت فوهات بنادقه أو حرابه في تلك المناطق من جميع أنواع الأنعام».

من هنا تولّدت الحاجة الماسّة إلى إيجاد بديل متوافر في البيئة المحلية، يكون عوناً للأهالي على الحصار المطبق الذي يعانونه، ويكون قادراً على التعايش مع الظروف القاسية التي يعانونها هم أنفسهم، وما أوحى لهم بهذه الفكرة هو أن الأرانب وحدها من ساعدتها صفاتها الطبيعية على الهرب والتملّص بحكم سرعتها وقدرتها على المناورة والهرب، بعد أن هُدِمت بيوت مربيها أو انهارت مزارع تربيتها القديمة ،على تواضعها!

غير أن «أسامة نصّار» يرى أن هذا النوع من المشاريع، لم يكن على قدر كبير من الأهمية في العام المنصرم، مع أنه يجسّد ضرورة حقيقية في العام الحالي، والسبب في رأيه يعود إلى أنه «في السنة الفائتة لم تكن هنالك أزمة لحوم في الغوطة، خاصة اللحم الأحمر، لأن مربّي المواشي اضطروا لذبح معظم قطعانهم نتيجة عدم توفر العلف أو غلاء سعره، ما جعل سعر اللحم أرخص نسبياً. صحيح أن هناك أزمة لحم أبيض، لكن على كل حال لم تكن مسألة لحم الأرانب حاجة ملحة أمام أزمة القمح والخبز والسكر..»، فيما يبدو الوضع مغايراً في العام الحالي، حيث لا وجود لا للحوم الحمراء، ولا البيضاء، خاصة بعد أن ذبحت المواشي قبل أن تنفق من الجوع.

وعن طريقة الحصول على الأرانب في ظل هذه الظروف، يقول السيد نجيب: «عمد الأهالي إلى جمع الأرانب بطريقة الصيد بالفخ، ليمسكوا بها حية، ومن ثم وضعوها في حظائر من البيوت والأحراش المهدّمة، آنذاك، بلغ عدد الإناث البالغة التي تم جمعها قرابة 150 أنثى، تمّ توزيعها على سبعة أحواش في حارات مختلفة من جوبر ليسهل تخديمها بالماء والعشب، وتعمّ منفعتها على أوسع مساحة ممكنة حين يبدأ موسم جني

الذكور، طبعاً ينتظر الأهالي المزيد من التمويل، لكنهم يثابرون على العمل، وقد تمت الموافقة في وقت سابق على بدء التمويل بمبلغ 16500 دولار أمريكي من قبل مجلس الأعمال السوري، كان عدد المواليد والإناث البالغة والمنتجة ضمن المشروع يفوق 4000 أرنب، موزعة على مجموعة حواضن تربية، بأضعاف ما كانت قد بدأت به، وفي عدد أحياء أكثر أيضاً، ومع توفر التمويل تقرر مد التجربة إلى بساتين حرستا وزملكا وعربين، وصولاً إلى دوما، لكن ضمن حظائر تربية مكتومة قدر الإمكان».

### مشاريع استيلاد الأرانب في غزة وسيلة لإعانة أسر الشهداء والمعتقلين

عملت العديد من الجمعيات النسوية على تمويل مشاريع لاستيلاد الأرانب، رغبة منها في تمكين المرأة الغزّاوية اقتصادياً، في ظل ارتفاع نسبة البطالة بين الرجال بسبب عدم توافر فرص العمل، فضلاً عن النسب المرتفعة لمعاقي الحرب والمعتقلين من رجال القطاع. وكانت هذه الخطوة، وبحسب السيدة «نجاة الصوص»، إحدى القائمات على «جمعية فلسطين الغد للتنمية»، وفي أعقاب الحرب على قطاع غزة في مطلع عام 2009، «عمدت منظمة الفاو إلى تمويل قرابة خمسين أسرة لإنشاء حظائر لتربية الأرانب، رغبة منهم في مساعدة بعض الأسر المتضررة من الحرب، خاصة من استشهد معيلهم نتيجة الحرب، أو تعرّض للإعاقة، بغية التغلب على ظروف الحياة، وتأمين احتياجاتهم الرئيسية»، مؤكدة أن المشروع قد درّ عليهم دخلاً معقولاً.

وينبّه الأهالي الذين اكتسبوا خبرة طويلة ممتدة على سنوات طويلة من حصار القطاع، إلى بعض النصائح لمن يريد الخوض في تجارب من هذا النوع، أهمها: التركيز على سلالة الهولندي أو هجينها مع سلالة الفرنسي، لما لهذا الهجين من قدرة إنتاجية عالية، مع اتباع نظام تلقيح يعتمد على إعادة تلقيح الأنثى بعد 14 يوماً بعد الولادة، والعناية بالإدارة والتغذية للحصول على أعلى مردود منها، ويؤكدون على ضرورة تجديد 25 % من إناث القطيع كل سنة، للحفاظ على استمرارية إدخال دم جديد للقطيع، وضمان استمرارية تحسين الإنتاج.

### مشاريع صغيرة في غوطة دمشق

يرى «أسامة نصّار»أن «هذه الأفكار، بقيت على شكل مبادرات أهلية صغيرة، ولم تنجح الجهات المعنية بعمل مشروع واسع وقوي، يوفر الحد الأدنى من الأمن الغذائي في الغوطة الشرقية التي تشكل الأراضي الزراعية معظم مساحتها».

وبحسب رأيه فإنّ: «فكرة استيلاد الأرانب ليست المشروع الوحيد الذي يمكن عمله في الغوطة المحاصرة، لكن الأكيد أنه يجب البحث عن أفكار لضمان الحد الأدنى من الأمن الغذائي وللتعامل مع الحصار، خاصة أن أرض الغوطة خصبة ويسكنها مئات الآلاف».

في حين يمكن القول إن هذا النوع من المشاريع، قد يمكّن الأهالي من تفادي شبح العوز، سواء عن طريق تناول اللحوم بشكل مباشر، أو مقايضة ثمنها على المواد الأساسية الضرورية لاستمرار الحياة، في ظل الغلاء الفاحش لها في المناطق المحاصرة اقتصادياً.

ويرى «الطبيب البيطري أحمد حلاق» أن الأرانب أقلّ الحيوانات الداجنة، من حيث نقلها الأمراض للإنسان عند الاهتمام بنظافة مكان تربيتها، مثل تنظيف الحظيرة، ولا خوف من انتقال أمراض للإنسان، كما توجد بعض اللقاحات التي تعطى للأرنب ولكن في مثل هذه الظروف من المستحيل توفيرها، ولا داعي لها، على اعتبار الغاية من التربية هي توفير غذاء وليست لغرض تجاري».

من المؤسف أن يخيّم على الغوطة، سلة سوريا الغذائية، شبح العوز والفاقة، وأن يتضوّر أبناؤها جوعاً في وقت تمتلك أرضها كلّ مقوّمات الحياة. غير أن الاعتماد على هذا النوع من المشاريع، التي لا تستوجب دفع الكثير من التكاليف، فيما تدرّ دخلاً مقبولاً، يمكن أن يشكّل بداية الحل لسلسلة المشاكل الغذائية التي يعاني منها أهلنا المحاصرون هناك.

الرَقة تُذبح بصَمت
مجزرة أرتكبها نظام الأسد راح ضحيتها أكثر من 87 شهيداً و 100 جريح
25 /11 /2014
Raqqa is Being Slaughtered Silently

الرَقــة تُذبــح بصَمــت
Raqqa is Being Slaughtered Silently
#الرقة_تذبح_بصمت

الرَقــة تُذبــح بصَمــت
Raqqa is Being Slaughtered Silently

الرقة تذبح بصمت

الرَقــة تُذبــح بصَمــت
Raqqa is Being Slaughtered Silently
#الرقة_تذبح_بصمت

## الحمل (٢١ آذار – ٢٠ نيسان)

ارتباك وقلق في محيطك مع بداية الشهر، فلا تتسرعي في اتخاذ القرارات، أو توجيه اللوم والعتب للحبيب أو لزملاء العمل. ركزي على أمورك الشخصية، الفلك يمد لك يد العون مع النصف الثاني من الشهر، ليعود إليك الهدوء والاستقرار.

## الجوزاء (٢١ أيار – ٢١ حزيران)

بعض العقبات تمر بك هذا الشهر، خاصةً مع سعيك لتكوني مركز الأحداث، ينصحك الفلك بتجنب المواجهات، عززي العلاقة مع الشريك، احتمالات لخطبة أو زواج، ضعي ثقلاً أكثر والتزاماً بالعمل، فهناك فرص لجني نتائج جيدة، فرص لجني المال عن طريق الحظ.

## الأسد (٢٣ تموز – ٢٢ آب)

يتراجع الحظ هذا الشهر بعد الدعم الكبير في الشهور السابقة، تجنبي المواجهات غير المحسوبة والصفقات التجارية، لا ترددي بطلب المساعدة من الآخرين، تقربي من الحبيب لأنه سيساعدك ويقدم لك الحلول لتخطي العقبات، وقد تلتقين بالشريك الذي طالما انتظرته.

## الميزان (٢٣ أيلول – ٢٢ تشرين أول)

بوجود عطارد في النصف الأول من الشهر الحظ إلى جانبك، يمنحك القوة ويملؤك بالحيوية والنشاط، لا تجعلي نجاحك يتسبب في إهمال الحبيب، سفر قد يقدم لك فرصة هامة، فائدة تجنينها في شراء عقار، فرصة لتحسين العلاقة مع الأخوة والجيران.

## القوس (٢٢ تشرين ثاني – ٢٠ كانون أول)

بداية الشهر تحمل لك الإحباط وعقبات في العمل، لا تستسلمي، انتبهي من انفعالك وردودك القاسية لأنها تكسبك العداوات، الخسوف مع نهاية الشهر ربما يقدم لك بداية علاقة أو انفصال، مع احتمال مفتوح لقصة حب سرية، حظوظ على المستوى المالي والفكري.

## الدلو (٢٠ كانون ثاني – ١٨ شباط)

نجاحات تشجعك وتظهر مواهبك، جاذبيتك إحدى أسلحتك فاستخدميها، لكن احتفظي بالرقة والهدوء، تلقين جائزة أو مكافأة، عليك التكتم حول مشروع كبير تقومين به. بخصوص العاطفة سعادة كبيرة يمنحك إياها الفلك، مع احتمالات سفر، حياتك الاجتماعية تشهد تحسناً في العلاقات.

## الثور (٢١ نيسان – ٢٠ أيار)

يحمل لك هذا الشهر الكثير من الضغوط والمفاجآت الصادمة والمكائد من زملاء العمل. احفظي أسرارك وأوراقك بشكل جيد، عليك التعامل بليونة مع محيطك، فالظروف القاسية تجعلك متقلبة المزاج تجاه الحبيب والأصدقاء، تغيرات مالية وتحسن في الأوضاع مع نهاية الشهر.

## السرطان (٢٢ حزيران – ٢٢ تموز)

انفراجات ومواقف إيجابية يحملها الحظ إليك، هذا الشهر فرصة لتستعيدي الثقة بنفسك وتثيري إعجاب كل من حولك. نجاح باهر على مستوى العمل، وعلى صعيد العاطفة، يقدم لك الاستقرار النفسي راحةً وانسجاماً مع الشريك، هذا الشهر جيد لارتباط العازبين.

## العذراء (٢٣ آب – ٢٢ أيلول)

اغتنمي هذا الشهر لتأسيس مشاريعك، فالحظ سيدفعك باتجاه الأمام، اعتمدي على حدسك ولا تنتظري مشورة الآخرين، لكن انتبهي أن تكوني متسلطة وقاسية مع الحبيب، تغيير في مكان الإقامة يقودك إلى علاقات جديدة تجعلك أقوى، تتدربين على أشياء توسع آفاقك.

## العقرب (٢٣ تشرين أول – ٢١ تشرين ثاني)

يزودك المريخ بالأفكار والطاقة، ويعرض فرصاً هامة عليك أن تستغليها، احذري الصدامات مع أفراد العائلة أو مسؤول المنطقة التي تسكنينها، تشعرين بالحيرة أمام مبادرة عاطفية، يحاول البعض الاستحواذ عليك فيجب أن تختاري، النصف الثاني من الشهر يقدم لك أخباراً مشجعة.

## الجدي (٢٠ كانون أول – ١٩ كانون ثاني)

تراجع كوكب عطارد مع بداية الربع الثاني من الشهر، يخلق سجالات وصدامات مع الأصدقاء والزملاء، ما يشعرك بالانعزال والوحدة، مع ذلك تستمرين بالتقدم ولو بطيئاً، مشاكل على المستوى المهني والعاطفي والأسري، انتبهي قد يظهر في حياتك أصحاب المصالح والانتهازيين.

## الحوت (١٩ شباط – ٢٠ آذار)

يحمل إليك الفلك تطورات إيجابية متتالية، وكثيراً من التحديات تنتصرين عليها، تجنبي السفر والمخاطرة، حذار من سرقة مستنداتك وأوراقك الخاصة. وضع صحي سيء لأحد المقربين، احتمال لمشاكل مع جهات رسمية، انتصارات في النصف الثاني من الشهر، تلتقين من يؤثر في قلبك.

# الكلمات المتقاطعة

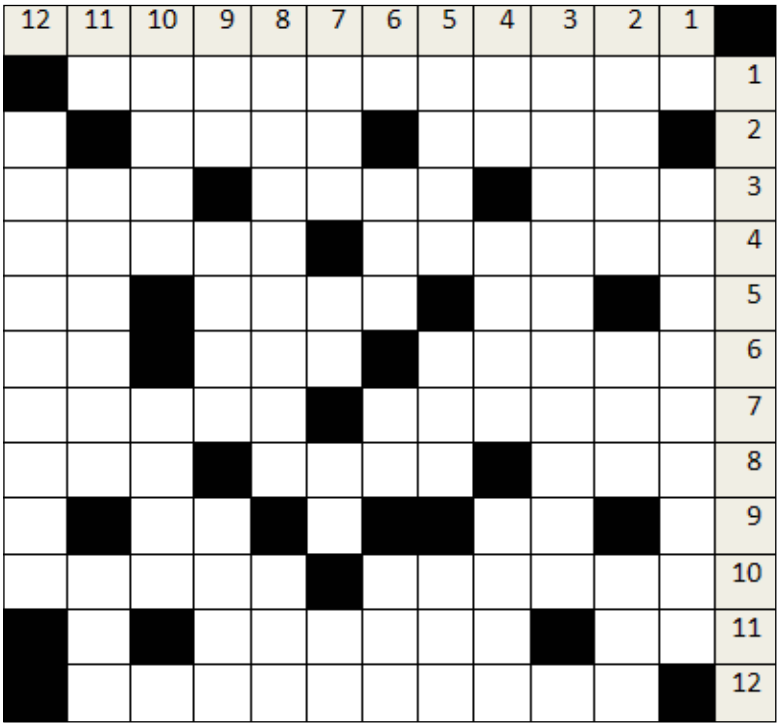

## أفقي

١- ناشطة كردية عضو ائتلاف
٢- قليل (معكوسة)- يفني
٣- فاجأ (معكوسة)- خير جليس(معكوسة)- رضاب (معكوسة)
٤- يعرفها- عاصمة أفريقية (معكوسة)
٥- ناهية (معكوسة)- فاحش- في البيضة
٦- للكتابة- على اليابسة- حرف عطف (معكوسة)
٧- المزارع (معكوسة)- عكس إدبار
٨- احتجز (معكوسة)- إحدى الصحارى (معكوسة)- من الطنب
٩- أغلق- لقياس مساحة
١٠- مثلث خطر- نفوز(معكوسة)
١١- إحدى الأطراف- ناتج الأطوال بالعروض
١٢- ناشطة من رابطة النساء السوريات

## عامودي

١- طبيبة وناشطة حقوقية سورية
٢- يصد- خط منحني- انبثق (معكوسة)
٣- إعلامي سوري شهير ومشاكس
٤- أساس- بحار عاصمة ريف دمشق
٥- شك- وجع(معكوسة)- تمني ما للغير(معكوسة)
٦- حرف أبجدي (معكوسة)- حرف نصب- أحرف متشابهة
٧- فاكهة صيفية (معكوسة)- عاد - بحر- فك
٨- منظمة سورية تعنى بالتعليم – أفشى
٩- سقاية- خفيف- جبل صغير
١٠- عكس روحي (معكوسة)- بين الليل والنهار (معكوسة)
١١- مركز لدراسات المرأة- شوق
١٢- حرر القدس

# سودوكـــــو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء ال ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى التسعة دون تكرار.

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 2 | | 7 | | | | | 1 | |
| | 4 | | | 2 | 9 | | | 6 |
| 1 | | 9 | 3 | | | | | 4 |
| 4 | | 3 | | 8 | | 1 | | 7 |
| | | 6 | | | | 4 | | |
| 5 | | 1 | | 6 | | 8 | | 9 |
| 6 | | | | | 3 | 7 | | 1 |
| 9 | | | 4 | 5 | | | 8 | |
| | 7 | | | | | 2 | | 5 |

# كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من ٥ أحرف: أول مدينة سورية تحررت

في غرفة العمليات كان نقاب الأطباء أبيض لون المعاطف أبيض تاج الحكيمات أبيض أردية الراهبات الملاءات لون الأسرة أربطة الشاش والقطن قرص المنوم أنبوبة المصل كوب اللبن كل هذا يشيع بقلبي الوهن كل هذا البياض يذكرني بالكفن فلماذا إذا مت يأتي المعزون متشحين بشارات لون الحداد

| | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ب | ا | ة | ط | ب | ر | أ | ت | ا | ي | ب | م | ع | ل | ا |
| ا | ل | ة | ب | و | ب | ن | أ | ا | ل | م | ع | ز | و | ن |
| ل | م | ا | ض | ي | ب | أ | ء | ا | ب | ط | أ | ل | ا | ا |
| ك | ع | ي | ة | ر | س | أ | ل | ا | ي | ت | أ | ي | ل | ل |
| ف | ا | ش | ب | ا | ق | ن | ن | ط | ق | ل | ا | و | و | ر |
| ن | ط | ي | ن | ب | ل | ل | ا | ت | م | ل | ي | ف | ن | ا |
| ت | ف | ع | م | و | ن | م | ل | ا | ن | ه | و | ل | ا | ه |
| ا | ب | و | ك | ة | ف | ر | ع | ض | ا | ي | ب | ل | ا | ب |
| ء | ي | ب | ل | ق | ب | ا | ر | ة | ي | د | ر | أ | ا | ا |
| ا | ج | أ | ا | ت | م | ل | ت | ا | ر | ا | ش | ب | ل | ت |
| ل | ب | ض | ر | ق | ل | ح | ا | ذ | ا | م | ل | ف | م | ا |
| م | ي | ا | ذ | ه | إ | د | ن | و | ل | ن | ا | ك | ص | ل |
| ل | ض | ا | ذ | ه | ذ | ا | ن | ي | ح | ش | ت | م | ل | ش |
| ا | ة | ن | و | ل | ا | د | ل | ك | ض | ي | ب | أ | ق | ا |
| ت | ا | م | ي | ك | ح | ل | ا | ي | ن | ر | ك | ذ | ي | ش |

# نضال المرأة
# غياب النكهة!

• ريدي مشو

هناك بداية كلاسيكية فيما يتعلق بقضايا المرأة، التي ترفع من شأن المرأة ودورها التاريخي في بناء الحضارة، وكيف أنها كانت مقدسة وفي مصاف الآلهة ذات حين. كل هذا لا يعنينا بشيء حين تناضل المرأة، ليس من أجل حريتها كمواطنة، بل من أجل حرية جنسها الأنثوي وحقوقها الاجتماعية. والحقيقة أنه لا معنى للنضال في سبيل زيادة عدد أعضاء البرلمانيات من النساء، في حين لا يزال قتل المرأة جسدياً وفكرياً أمراً مشروعاً في عرف قادة المجتمع.

ما الذي نالته المرأة منذ اندلاع الثورة السورية فعلياً، هل كانت مكتسبات حقيقية يمكن البناء عليها والاسترشاد بها ليكون للمرأة دور أساسي في عملية التحول الديمقراطي، أم إنها إطارات للوحات إعلانية ستباع لاحقاً في الأسواق، على يد منظمات وأحزاب وميليشيات الرجال، كما حدث في معظم الثورات، القديمة منها والجديدة؟

إن تحليل خطاب المرأة منذ اندلاع الثورة، لا يضفي شيئاً على شخصيتها بالفعل، فكامل الحديث الذي يتم حول هذا الموضوع متعلق بدورها كأم للثائر، معتقلة، مغتصبة، نازحة ومشردة في البراري الجرداء، متحملة المشقة والبرد والجوع. هذه الديباجة لا يمكنها أن تغير من واقع المرأة الفعلي! إن إحداث تغيير في واقع المرأة يتطلب المزيد من المبادرات الفردية، التي تقوم بها بعض الشابات والنساء هنا وهناك، وهي محاولات جيدة بالتأكيد، لكنها لا تتعدى كونها قشرة في بحر ثورة الرجل، ولا أحد يمكنه أن يقول عكس ذلك، لا في سوريا ولا في أي بلد آخر من بلدان الثورات الفتية. قد يعد كلامي هذا تقليلاً من شأن نضال المرأة في الثورة، لكنه ليس كذلك بالفعل، أعني أنه لو ربطنا نضالها بقضية المرأة عامة، فلا يمكنني أن اعتبر أنه نضال للمرأة، بل هو نضال عام قد يكون لصالح أي شيء، وهنا أقترب من النقطة الأكثر أهمية، وهي خطاب المرأة الحالي، الرافض للتحدث والانخراط في الكفاح من أجل ثورة المرأة بحد ذاتها، بمعزل عن دعايات وإعلانات شركات الرجال السياسية والعسكرية. بالفعل التقيت بالعديد من الفتيات والنساء ممن يتوهمن بأنهن تجاوزن قضية المرأة بشكلها الكلاسيكي، وحينما سألتهن كيف تم ذلك، وما هي المكتسبات التي حصلن عليها بالفعل، أكثر من العمل مع تنسيقية، أو في جريدة، أو بأحسن الأحوال في الحكومة المؤقتة، توقفن عن الحديث حينها، لكنهن لم يتنازلن عن رأيهن، كون الحديث عن قضية المرأة في هذه الأوقات هو إهانة لروح الثورة، فالهدف الأعظم لديهن هو إسقاط النظام!

يمكننا استنتاج عدد لا نهائي من هذه الرؤى الضبابية، وهي رؤى متماهية مع استراتيجية الرجل في كل حين، ولم يحدث أي تغيير ملحوظ بعكس ذلك. إن استمرار المرأة في نضالها على هذه الشاكلة، أي تحت مظلة الرجل بشكل مباشر، سيوصلنا إلى المحطة التالية، المعروفة لدى الجميع، وهي أن امرأتين أو ثلاث ستمثلن حزبهن أو تيارهن في الحكومة والبرلمان، وسيبقى كل شيء في المستوى الاجتماعي على حاله، كما فعل النظام البعثي من دعاية حول تحرر المرأة وحريتها على مدى أربعة عقود، في حين أن المرأة كانت الأكثر تضرراً، حتى في صفوف الحزب بذاته.

على المرأة أن تقرأ المشهد الثوري بشكل أكثر تخصصاً من نظرتها كامرأة، لأن قضية المرأة ليست متعلقة بتحرر سوريا والقضاء على النظام، ومن تفكر بهذه الطريقة فهي متوهمة لدرجة كبيرة، ويمكنني القول إنها وفق هذا المنظور، قد باعت روحها لاستراتيجية الرجل في الحاضر والمستقبل، وكما قالت «سيمون دي بوفوار»: «المرأة لا تنال إلا ما يتنازل الرجل عنه أصلاً». على المرأة إذن أن تتخذ قرارها الثوري كامرأة قبل كل شيء، فمسألة الحرية بمفهومها العام لن تفيدها كثيراً كما قرأنا في التاريخ المعاصر، نضال المرأة هو نضال مستمر، ويتعدى الرؤى الحالية المختبأة خلف صورة

شهيدة مقاتلة أو ناشطة معذبة.

ما المطلوب هنا لتتهيأ المرأة لظروف المرحلة وتلعب دوراً هاماً في التحول الديمقراطي؟

«لا نسعى فقط للحصول على قطعة من الكعكة، بل نريد أن نختار النكهة كذلك، وأن نعرف كيف نجعلها لأنفسنا، Ela Bhatt»، بهذه اللغة يحدث الفرق، فوظيفة المرأة ليست ملء عدد المقاعد المفروضة على الرجال ولمصلحة الرجال في النهاية، بل عليها اختيار مكانها بنفسها وبحسب تطلعاتها وآرائها، أي عليها أن تبحث عن النكهة وهو العنصر الغائب في نضال المرأة المنصب على نيل قطعة من كعكة الرجل الكبيرة في احتفالات انتصاراته. كيف يمكن أن نزرع تلك النكهة في عقل المرأة الحالية ونبعدها عن فلسفة الربح اليومي في أروقة شركات الرجل السياسية؟ العملية برمتها بالغة التعقيد بالتأكيد وتحتاج لمبادرات كثيرة من أجل القبض على لحظة المرأة بذاته، والسير نحو مستقبلها في وجه التحديات المتصاعدة في المجتمع السوري، الذي يبلغ حدوداً يصعب الرجوع منها إلى الوراء أو تعديلها بسهولة. ويمكنني القول إن نضال المرأة من أجل قضاياها قد أخذ منحى آخر، لأنها إن كانت معارضة للنظام، فهي تواجه مؤسسات سياسية لا تملك ما يكفي من الشرعية لتتخذ القرارات الدستورية، وإن كانت موالية فهي تواجه مؤسسات فقدت شرعيتها وهي إلى زوال. وفي الجهة الأخرى، على المرأة أن تواجه أقدم الإيديولوجيات الموجودة على الأرض، والتي تنقص من قدر المرأة هنا وهناك، باسم حريتها واحترام أنوثتها.

وفي ضوء الواقع الحالي، فكل إنجاز للمرأة لا يشكل فارقاً يذكر، في غياب قيادة موحدة سياسية واجتماعية، يمكنها أن تقبض على مفاصل واقع المرأة في الداخل السوري وفي الخارج، بحيث يتشكل خطاب سياسي نسائي في وجه تطلعات الرجل، وفرض هذه الرؤية على القوى الوطنية والجهات الداعمة لحرية سوريا. لن تكون هذه تجربة سهلة، لكن لابد منها، وإلا ستضيع المرأة في أقنية الرجل هنا وهناك، وستتحول (كما قبل الثورة) لإطار إعلاني للحزب والتيار الفلاني في كافة أرجاء سوريا، وكأن الثورة لم تمر على المرأة السورية يوماً. أعتقد أن البحث وتشكيل هذه القيادة يمكن أن يكون من أعظم الخطوات الثورية في عالم المرأة السورية في الوقت الحالي، لا أتكلم على منظمة، بل على قيادة سياسية واجتماعية يمكن للمرأة أن تراهن عليها في الحاضر على الأقل، في وجه جموح الرجل السياسي والعسكري باسم الوطنية، وما إلى ذلك من مفاهيم مضللة.

# عشرون مليون معجزة سريّة

• بسمة شيخو

**«إذا كنت موجوداً بصورة ما، وإذا لم أكن من صنائعك المكررة، أو أحد أخطائك، فإنني موجود لأكون مؤلف مسرحية «الأعداء»، ولكي أنهي هذه المسرحيّة التي تبرر وجودي، ووجودك، فإنني أحتاج إلى سنة أخرى من الحياة. امنحني هذه الأيام أنتَ من له العصور والأزمان».**

بهذه الكلمات خاطب «هلاديك» (بطل قصة المعجزة السريّة لخورخي بورخيس) إلهه، بعد أن حُكم عليه بالإعدام، ولم يعد الموت خيالاً بعيداً، بل صار على موعدٍ قريبٍ معه، (حدث الموت بحد ذاته بصورة عامة هو المخيف وليست الظروف المحيطة)، راح يكرر كلماته هذه بعد مقارنات عبثيّة عديدة ما بين المشنقة، قطع الرأس والإعدام رمياً بالرصاص، حيث إنه سيواجه الأخير، والذي يجده الأصعب.

تخيلاتٌ لا نهائية، وقائع عملية الإعدام ابتداءً من الفجر المؤرق، وحتى زخة الرصاص الغامضة. التفكير بالموت، طريقته، ظروفه وتفاصيله يُميتنا مئات المرات في أماكن وأزمنة مختلفة، الخوف من مواجهة الموت يفوق خوفنا من الموت نفسه، لذا كان «هلاديك» حريصاً على إنقاذ ما هو جوهري في حياته (بطريقة رمزيّة)، وذلك بإكمال مضمون المسرحية الأكثر ملاءمةً، لإخفاء عيوبه وممارسة سعادته.

ومن حسن حظ «هلاديك» أنه وجد الله في أحد الحروف ضمن مكتبة «كليمنتينيوم»، ذات الأربعمائة ألف مجلد، «لقد بحث آباؤنا وآباء آبائنا عن هذا الحرف وأنا أصابني العمى» قال موظف المكتبة لهلاديك، وهو يريه عينيه الميتتين. لم يكن ذلك حُلماً فقط، فالصوت الكليُّ القائل: «لقد مُنح لك الزمن اللازم لعملك» كان إلهيّاً، حتى إنَّ «ابن الميمون» أكدّ ذلك بقوله إن الكلمات في الحلم تكون إلهيّة، عندما تكون مختلفة وواضحة».

في ساعة الموت التي خيّبت كل تخيلاته السابقة، حيث لا دهاليز ولا سلالم، بل مجرد درجة حديديّة واحدة، يومٌ غائم، يدان مرتجفتان وجنودٌ يتكلمون بصوتٍ خافت كما لو أنه ميت، تجمّدت الصورة أمامه، البنادق، ذراع الرقيب، قطرة المطر الثقيلة على خده، الرّيح، ظل النحلة... كلّ التفاصيل ساكنة.

هل هو الجحيم؟ هل هو الجنون؟ أم أن الله قد حقّق له معجزته السريّة، سنة كاملة مُنحها لينهي عمله، فالرصاص الألماني سيصرعه في موعده، ولكن سنة كاملة ستمر في ذهنه بين صدور الأمر وتنفيذه.

كم سنةً من هذه السنوات عشت، وكم معجزة سريّة احتفظت بها لنفسك؟

كم مرةً وجدت الله في حرف، في كلمة، في صورة، في صوت في تفصيلٍ صغير، واحتفظتَ به في قلبك دوناً عن الباقين؟

كم مرةً دعوت الله ليحقق لك معجزتك الخاصة، ويمنحك وقتاً إضافياً في الحياة حتى تدرك سبب وجودك، وتجد تبريراً لكل تلك السنوات التي عشتها؟ الوقت الإضافي وحده من سيمنحك الأمل بأنك ستغادر مرتاح الضمير، تاركاً بصمة ملوّنة على كفن المدينة الأبيض.

في شوارع دمشق تسير بين كافة احتمالات الموت التي تخيّلها «هلاديك»، فقطع الرؤوس

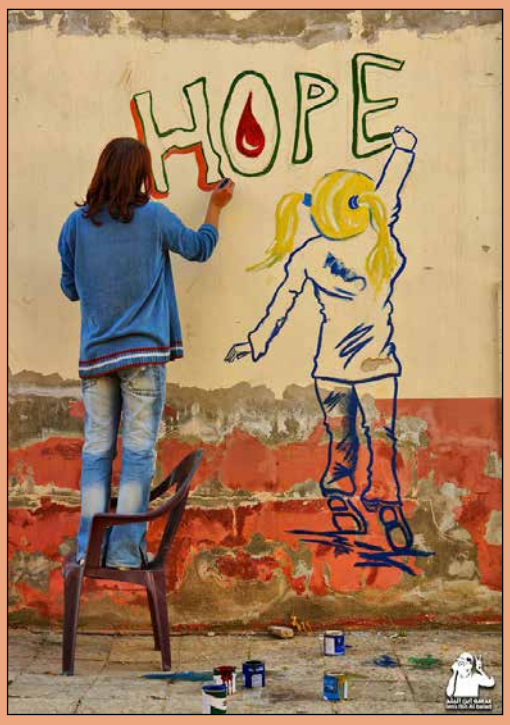


بدأ في المدن المجاورة، وصوت الرصاص لا يغيب، والمشانق ليست بالأمر البعيد، ونزيد عليها طبعاً أشكالاً لم تخطر على بال «هلاديك» ولا على بال الألمان أنفسهم عام 1928. كبهلوانات بالفطرة نقفز فوق هذه الاحتمالات، ونكمل طريقنا وفي بالنا نظريّة تريحنا للغاية، تقول بأن الواقع لا يتطابق عادةً مع التوقعات المسبقة، لذا باستطاعتنا تخيل أبشع السيناريوهات، في محاولةٍ ماكرةٍ لتفاديها، فالمثاليّة العقيمة في تفكيرك المستقبلي تدفعك للظنّ بأن هذا لا يحدث لك، ولا يخص سوى البعض ممن حولك.

وفي حال فشلك بإبعاد يد الموت عن عنقك، ستمر أمام ناظريك كل الهموم المعلّقة، حبل غسيل حياتك وهي تقطر دموعاً وآمالاً غبيّة، ستناديك بعض الأفكار الجوهرية التي كان من المفترض أن تمحور حياتك حولها، لن تستطيع صم أذنيك عن حقيقة أن حياتك كانت فارغة، لدرجة أن نفخةً واحدة من المعزّين الواقفين حول جثمانك ستطيح بها وبكل إنجازاتك التافهة.

أنت تبتهل الآن إلى الله الراقد في قلبك كلؤلؤة، تذكّره بقصة بورخيس، وتطالبه بمساواةٍ كاملة مع «هلايدك»، فأنت أيضاً تملك مسرحيّة تحتاج للإتمام، وبدونها ستكون حياتك بلا معنى، «سنةٌ أخرى يا صاحب الأزمان، وأغادر بعدها برضى وحبور».

لن أعرف طبعاً من منكم استجيب له وجُمّد الزّمن لأجله، ومُنح في ذهنه سنةً كاملة، يكمل فيها تفاصيل مرميّة على ضفاف حياته، يبدأ بها أيامه ببسمة، يحب زوجه أكثر، ويمضي وقتاً أطول مع أولاده، ينجز عمله بصمت وببصمة خاصة، ويخلّد اسمه في ذاكرته إلى الأبد. يحلم كثيراً كثيراً، وينتظر معجزات أخرى تحقق أحلامه، وتهب العشرين مليون سوري معجزاتٍ سريّة.

إنها السّاعة التّاسعة ودقيقتان من يوم التاسع والعشرين من آذار عام 1928م.

«هلاديك» قد أنهى مسرحيته..

«هلاديك» قد مات، ونحن أيضاً سنموت معه الآن.

# أصوات يجب ألا تفقدها الثورة السورية

## جليلة.. لغة تحمل من الثقة والأمل بقدر ما تحمل من الحسرات

• فريق تحرير سيدة سوريا

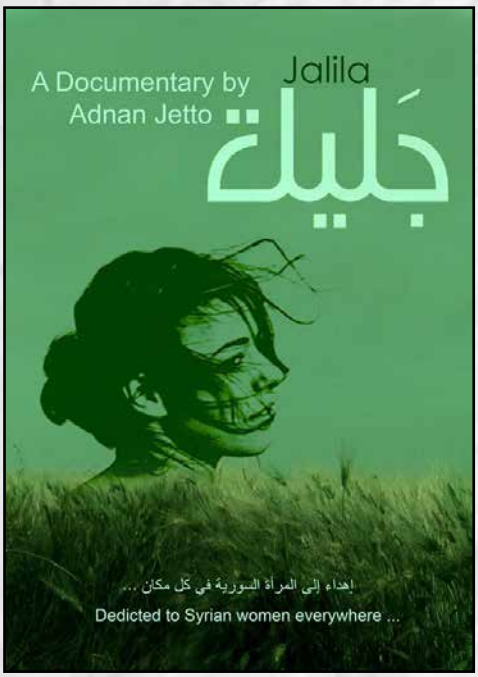


بدءاً من عنوانه، الفيلم ذي الاثنتين وعشرين دقيقة، يسم المرأة السورية بصفات الجلال، المرأة السورية كما ينظر إليها أبناؤها. وجليلة اسم لزوجة «كليب» وأخت «جساس»، إحدى عزيزات العرب، وشخصياته الملحمية، اشتهرت بالجمال والحكمة والشجاعة، وينحو الفيلم لإظهار النساء من بطلاته في هذا السياق.

حيث يؤكد الفيلم، الذي اعتمد في معظم مادته البصرية على لقطات ومشاهد صورها ناشطون، على دور المرأة في الثورة السورية، كذلك دورها في البناء، خارج العثرات التي تعبر بها سوريا اليوم، كالتطرف والعنف والاقتتال الذي بات أحدى سمات المرحلة كما يراه الآخرون.

يقول «عدنان جتو» مخرج الفيلم: «المرأة التي قدمها الفيلم هي المرأة السورية، ولم يتوجه لإظهار المرأة المخمرة أو الداعشية أو حاملات السلاح، لأننا نظن أنها لا تمثل الكثيرات، بل هي مظاهر فرضتها المرحلة الحالية، نحن قدمنا المرأة السورية التي بدأت الثورة ولا زالت تعمل هنا، التي ضحت وعانت وقدمت الكثير في سبيل بناء الحياة في سوريا».

«عدنان جيتو» أحد شبان سوريا الذين شقوا طريقهم في قساوة الظرف، حاملين همّ قضية شعب عانى وضحى، وعلى مثقفيه ومبدعيه أن ينقلوا رسالته وصورته الحقيقية إلى العالم الذي تشاغل عنه، بل استغل مأساته أحياناً.

من دراسته للفنون الجميلة وخبرته الطويلة كمونتير، يصنع «جتو» أفلامه، فقد عرض له في وقت واحد في جامعة (SOAS) بلندن ثلاثة أفلام قصيرة، أحدها فيلم جليلة، وجرت على خلفية عرضها جلسات حوارية. يقول «جيتو»: «نحاول بقدر طاقتنا إيصال قضية الشعب السوري وحقيقة ثورته ومعاناته، وخاصة دور المرأة السورية».

من يتابع التتر مع بداية الفيلم سيطل على عديد الأسماء لناشطين سوريين في الداخل، ساهموا بتطوير اللقطات، حيث صور الفيلم في أماكن كثيرة من سوريا، يقول «جتو» مخرج الفيلم: «معظم اللقطات كنت طلبت تصويرها حسب تصور في ذهني لتشكيل الفيلم، إضافة إلى لقطات أرشيف، خاصة تلك التي تتناول بداية الثورة والتظاهرات الأولى للتوثيق».

لقطات الفيلم التي تبدأ من دوامة طيور تهوم في المكان، ريٌّ ومحراث وقمح أخضر، هكذا بنى السوريون عالمهم على بساطته، كعش حمام مهما ابتعدوا يعودون إليه، قبل أن تلتهم جهدهم وحياتهم نيران الحرب والموت والمصالح.

في أول دقيقتين سرد لبدايات الثورة االسورية، ومع الدقيقة الثالثة تبدأ الشخصيات النسائية بطلات الفيلم بالظهور.

الباحثة عن متنفس لصوت حر، تقول فيه ألمها ، وأم من درعا بشجاعتها التي ضاهت شجاعة الرجال تواجه أمن نظام آل الأسد، وهم يطلقون النار على شبان درعا.

ثم يأتي الصوت الواثق لامرأة تقول: «منذ أول رصاصة طلعت بالثورة بدرعا حتى هذه اللحظة، لا تزال الثورة بقلبي ولن تتغير».

ثم تعبر لقطات الفيلم بالمظاهرات النسائية لبداية الثورة بلافتات «أيها الشعب ثر بجلادك الوغد، إن لم نرفض الظلم اليوم،فلن نرفضه أبداً».

حضور كثيف وتتابع لأصوات نسائية.. سوريات قدمن ولا زلن يقدمن.

جليلة.. قطرة مكثفة من عطر المرأة بطلة وضحية في الثورة السورية.

# أبو خالد بائع الحضارة الأتعس

• سلطان جلبي

«نبحث في هذه الأرض، قد نجد ذهباً أو آثاراً، وربما نجد تمثال زنوبيا أو هولاكو أو... بشار الأسد». ثم يقهقه عالياً بصوته المتعب. يتابع الحفر بجهد هو وولداه اليافعان، اللذان يساعدانه في العمل الجديد. كان أبو خالد تاجر ألبسة، يتنقل بين حلب وريفها بسيارته الضئيلة، يصارع التدهور الاقتصادي السريع الذي عاشته البلاد طوال العقد الماضي، يرعى أسرة مؤلفة من سبعة أنفس. وكمعظم السوريين حينها، كان أبو خالد يزيد في كل مرة ينخفض فيها مستوى معيشته درجة إضافية، من ساعات عمله ومن حجم مغامراته المهنية، محاولاً الاستمرار في بلد لطالما شعر أنه لم ينل شيئاً من خيراته.

«ها نحن نعمل في وضح النهار» يقول أبو خالد، «نحن لا نعتدي على أحد، لذا ليس لدينا ما نخشاه، آل الأسد كانوا يحتكرون استخراج وبيع آثار البلد لأكثر من أربعين عاماً خلت، ألسنا أولى؟ ما الضير إن استعنا بهذه الأحجار في ظرف الحرب؟ ما قيمتها إن كان الناس يقتلون كل يوم؟» يقول ذلك بينما يبدأ السير ببطء، متحسساً كل خطوة في ذلك الموقع الأثري بريف حلب، واحد بين عشرات المواقع الأثرية الصغيرة والمبعثرة في الشمال السوري، معظمها لم يخضع لدراسات تبين أهميتها التاريخية، كما أنها غير مسجلة في قوائم اليونسيكو. «في زمن النظام، لا أحد منا كان يجرؤ على القدوم إلى هذا المكان، هم فقط كانوا يحفرون ويخرجون قطعاً أثرية من الأرض، ثم يكسبون ملايين الدولارات من بيعها. لقد أخذوا كل الخير من البلاد، لم يبقوا لنا شيئاً، نحن نبحث طوال أشهر وبالكاد نجد قطعة خرز، أو جرة فخارية أو أي قطعة خفيفة لا يتجاوز ثمنها بضعة آلاف ليرة، القطع الثمينة أخذها جماعة النظام منذ زمن طويل».

## كثير من الخبرة وقليل من الحظ

يعتمد أبو خالد على أداة أساسية في البحث عن كنزه، سيخ معدني طويل هيئت له قبضتان في أحد أطرافه، ودبب الطرف الآخر ليستخدم كمجس للأرض، لذا يسمى (جاسوس). يغرس أبو خالد جاسوسه في أحد النقاط التي يشتبه بوجود شيء ما تحتها، ويقول: «الجاسوس يساعدنا على معرفة إن كان هناك شيء مدفون في الأسفل أم لا، مثلاً هنا توجد صخرة على بعد سنتيمترات تعيق دخول الجاسوس أكثر، إذاً لا شيء هنا، لكن لو انغرس الجاسوس أكثر فذلك يعني أن ثمة فتحة في الجوف». مع ذلك ليس الأمر بهذه البساطة، يضيف أبو خالد: «ثمة علامات تجدها في كل موقع أثري، في الغالب هذه العلامات تخص الناس الذين كانوا هنا يوماً، نحن نحاول قراءتها وتحديد المساحة المشتبه بها، لكن الحقيقة، لا يتمكن أحد من فهم حقيقة هذه العلامات، إلا من وضعها، لذلك ليس لنا إلا أن نستعين بهذا الجاسوس ونجرب».

لم يعثر أبو خالد حتى الآن على شيء مهم كما يقول، هو يؤمن بدور الحظ في مهنته هذه، فلا زال ابناه يغوصان حفراً في الأرض منذ الصباح، ولم يظهر شيء، لقد تجاوزوا العمق الذي يفترض أن يجدوا فيه كنزهم، ولم يحالفهم الحظ هذه المرة أيضاً. يطلب منهم الأب التوقف عن الحفر، بينما يتابع غرس جاسوسه باحثاً عن حظ جديد.

## استراحة

جلست الورشة في استراحة قصيرة، كانت فرصة لنسأل أبا خالد، كيف يشعر حيال ممارسته لهذا العمل: «ماذا سنعمل إن لم نأتِ للحفر هنا، البلد انطفأت، لم يعد هناك عمل لأحد، أي عمل مع كل هذا الخراب، ولداي اللذان تراهما معي الآن، حُرما من تعليمهما، هل أتركهما دون عمل لتأخذهما الحرب مني؟..» تلمع أشعة الشمس فوق فروة رأس الرجل، التي «فقدت ما تبقى لها من شعر بعد الثورة» كما قال مازحاً. يوم العمل قارب على نهايته، وعاد أبو خالد للبحث مرة أخيرة، محاولاً تحديد مكان الحفر لليوم التالي، «منذ أن فتحنا أعيننا، كانت هذه الآثار موجودة، لا نعرف عنها شيئاً عدا أنها قديمة جداً، وأن هناك أناس مهتمون بدفع المال مقابل الحصول على قطع مدفونة فيها».

## بعد العثور على كنز أبو خالد

لازالت السيارة الضئيلة هي ذاتها، لكن مع بعض الكدمات التي طالتها من شظايا الحرب في مواقف متباعدة، تتهادى على الطريق الضيق المقفر قرب المساء. كان وقت العودة للمنزل هو الأنسب، ليسترسل أبو خالد في أحلام ما بعد العثور على كنزه المدفون. «سوف أشتري للشباب دوشكايات ورشاشات حديثة، ثوارنا فقراء، وسأنفق كل ما أحصل عليه لدعمهم، بالطبع سأنفق على أولادي، لكن لا معنى للمال إن لم تتوقف الحرب وتهدأ البلد».

# أحدث صديقتي الجالسة بجواري الآن

• لونا العبد الله

الخامسة من مساء الثلاثاء 17 / 06 / 2014 من وراء القضبان

– أريد أن أكتب لهم رسالة.. ماذا ستكتبين؟

– لا أدري..

– ما رأيك بمتلازمة الشعب السوري «أهدي سلامي إلى أم عمار وابن خالتي المغترب، وشكر خاص لعمتي على قطرميز المكدوس، وأهديهم جميعاً أغنية «لركب حدك يالمتور».

نكتم ضحكتنا حتى لا تحملق الأعين بنا ويفتضح سر الورقة والقلم.. حقيقة أريد أن أحدّثهم عن التفاصيل.. عن حجارة مدينتي السوداء.. يعبق صدري برائحة المطر إذ أراها.. عن الياسمين الذي اتخذها فراشاً.. تلك الحجارة التي تقصدت إيقاعي عدة مرات بسبب عدم تراصّها على سويّة واحدة، وبالرغم من ذلك ما زلت أحتفظ بخطواتي فوقها.. أريد أن أحدثهم عن مدينتي.. عن الهرب من نهارها والكتابة على جدرانها ليلاً.. عن الخوف الملازم لعشق تلك التفاصيل، والعقاب الذي ينتظرك إذا ما اكتشف العابثون بها عشقك هذا.. كنا كثيراً ما نكتب لهؤلاء العشاق الذين افتضح أمرهم وعوقبوا أننا لن ننساهم.. وأننا نطلب الحرية لهم الآن.. وبعد أن تحول ضمير الغائب لضمير متكلم.. أدرك أن المسألة ليست كما كنت أظن.. أريد أن أكتب لمن لن ينسانا.. عندما تسير فوق حجارتها السوداء.. عندما تلثم ياسمينها صباح مساء.. وترى الشمس في كبد السماء.. عندما تمسح بكفّ يدك حبّات مطرٍ سكنتْ زجاج نافذتك فحجبتْ عنك رؤية قناديلها الحمراء.. عندما يوقظك صوت بائع الخضار باكراً.. ويزعجك الأطفال الملتصقون بكَ في سوق الحميدية.. عندما تجاور خطواتك خطوات الحمام في ساحة المرجة.. عندما تعانق حبيبتك تحت ظل أشجار حديقة الجاحظ وتمسك حبال الأرجوحة لتتهيأ لقذف ابنك نحو سمائها، فيطلق ضحكته للرياح.. عندما تتمدد في باحة الأموي مرهقاً من كل تلك التفاصيل التي عنت لك الكثير.. حينها فقط.. لا تنسانا.. ففي جعبتنا شوق بحجم الفقد.. وفي جعبتك مدينة حُمّلنا أوزار عشقها..

الإثنين 19/5/2014 من وراء القضبان

لا أعرف عن ماذا سأكتب.. ولمن.. أريد أن أكتب لدمشق.. سليلة الأمراء ومعشوقة المحبين.. نبض الموتى الذي لا تستطيع أيّما قوة على وجه الأرض أن تكتمه.. الهواء الذي تحتاجه وأنت تتصعّد في السماء.. الغربة التي تسكنها رغم قربكَ والوجوه الكثيرة التي ترى انعكاساتها بحجارتها السوداء وشموخ قاسيونها.. تلك المدينة التي تحتلّك أسوأ احتلال وأجمل احتلال.. دمشق.. الطّفولة التي لا تكبر والأنوثة التي لا تُغتصب.. أصوات الأجراس المحمّلة على أجنحة حمامات الأمويّ.. بائع عصير الرّمّان في حاراتها القديمة.. طَرق النّحاس الذي يشبهها.. لا يضنيه طول زمن ولا سوء استخدام.. لعب الأطفال الطاهر والقبلة المسروقة من ابن الجيران على حافّة الدرج القديم.. المراهقة الشقية والحدائق المعتمة كمنازل العشاق.. جيْدُ فتاة كاعب.. يلتوي بكل طرقة بحذائها العالي.. يثير القلوب ولا يرويها.. يعدها بالكثير ولا ينال منها شيئاً سوى جعجعة تطغى على صوت العصافير الجائعة.. دمشق خلخال النسوة اللاتي كدن ليوسف.. يذهب بروح مع كل هزّة يهتزها برقصة شرقيّة وضربة دُفّ.. نبيذ التين والزيتون.. يقسم به الله ويشرب نخبه البشر.. دمشق.. تلك الأحجية العصيّة على الكره.. فما أنا وهي الآن.. إلا مقاتل يحبو على نهد أنثاه ليبلغ فاه.. وما هو ببالغه..

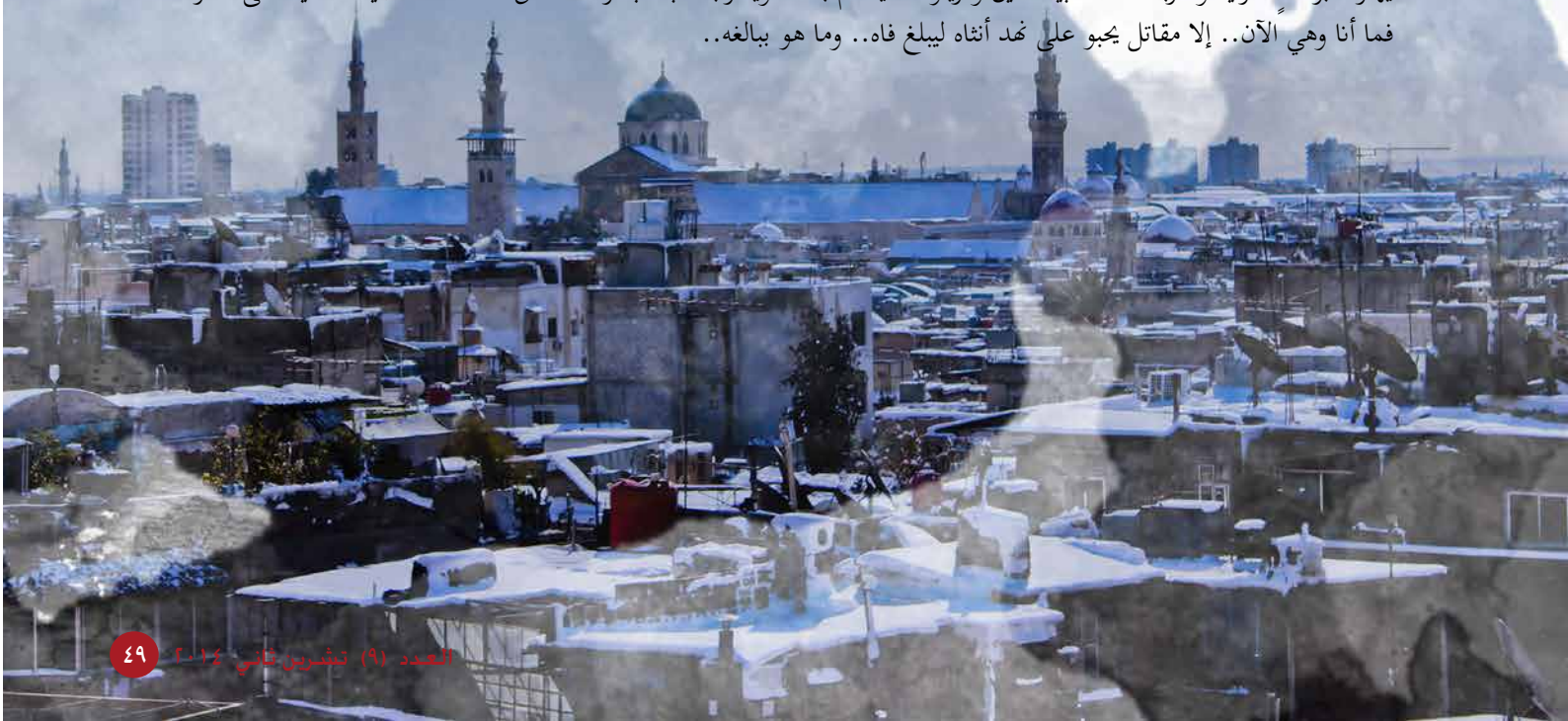

# في المنفى القريب

• علي الأعرج

ليست سماءً صافية، ولن تكونْ.
يقول الغرباء/ السيّاح، عن المكان الغريب وفي المكان الغريب، أولئك الهاربون من لعنة البلادِ والماء، المصابونَ بشظايا الحنين والغار:
– لا نريد شيئاً، لا نريد سوى وطنٍ عتيقٍ لنُشاكسَ فيه مثلما كُنّا نفعل قبلاً.. قبل أن نختار ما نحن عليه الآن من شعبٍ يُقلّدُ الغجر الراحلينَ في هوامشِ الكتبِ الكاذبة.. لا نُريدُ سوى موتٍ دافئٍ وهادئ المزاج، وبعض حبيباتٍ شرّعن رقصات الخلود لله.
يقولُ الغرباءُ ذلكَ، وينامونَ بعد عشاءٍ يُثقلُ المعي الدقيق، ويُصيبُ الكبدَ بالانهيار من دهنِ الخنزيرِ المشوي على نارِ القيامة.
يحلمونَ بالوجود وبرائحة الإناث الجميلاتِ، يُريحونَ سلالةَ الكبتِ الأزلي بالمني غير المقصود، ويتأسفونَ على خطأ الشهوةِ في الريح.
يستيقظون ويغيّرون الثياب اللزجةَ من تعرّق الحُلم دماً مُعالجاً في الكابوس..
يتأمّلون الصباح بكامل بلادته المُستعارة، يُتبّغونَ الرئات ويحتسون القهوةَ، ولا يفعلونَ ما يفعلُ الشعراء.
الغرباءُ، كُل الغرباء في المنفى، يبكونَ ويكتبونَ المراثي الشبيهةَ بملاحم أثينا، يضجرونَ من كثرة الجلوسِ أمام نافذةِ الغيم المُتدحرج في أفقِ الوقتْ.
يتأمّلونَ ساعةَ الجدار، يرتدون كامل الاغتراب الأنيق، ويتعطّرون بروائح النجاح المُزيّف، يتأبّطون أشياءهم الغبيّة ويهبطونَ إلى شوارعَ لا يعرفونَ منها سوى القليل من الأرصفةِ وسياراتٍ لا يُحبّذون منها سوى ما يُقلُّ المؤخراتِ الطريّة إلى أعمالها الدوليّة.
يؤلمهم صمت البلاد الغريبة، يندثرون بانتقاد غيم المدينة الموحشة، يصخبون، يضحكون قليلاً بعد كل هذا الألم (فهم بشريون مثلما يُحبّذون القول عن أنفسهم)، ويشتمون كل الهدوء المحيط.
يتأمّلون كل المنفى المسوّر، يتصايحون ويختلفون بسرد الحديث، يصعدون أدراجاً، يدخلون أبواباً، يخرجون من أبوابٍ.. لا شيء مهم هذا الصباح، لا شيء مهم مثل كل الصباحات في كل هذا المنفى اللعين.
يجلسون خلف المكاتب الأنيقة، يحاولون حلّ الألم المستديم.
غرباءٌ.. وغرباء عن الغرباء.. كل الجالسين غرباءٌ عن كل الغرباء.. في أرضٍ غريبةٍ عن الجميع.. يتحدّثون بلغةٍ ثالثةٍ، لا هي عربيّةٌ، ولا هي احتلاليّةٌ عتيقةٌ من عصورِ قرنٍ ماضٍ، لغةُ ذلك المُتفحّذِ الطائشِ في رحم سبيّةٍ داخل خيمة عثمانْ.
لغةٌ ثالثةٌ تشبهُ سوقاً لنخاسة المنفيين في الوطن.
يقرأونَ بياضاً، ويُوقعونَ كمن يُوقّع على قصيدة شعريّة، يدخنون، ويطلبون وجباتٍ سريعةً من محالٍ سريعة، فالجوع يخزُ طحالَ الوقتْ، ويتناسونَ تاريخ الخبزِ الجافِ في بلادِ الموتْ.
لا يُهمُّ.. فالأحياءُ أكثرُ نشوةً وحلماً بغدٍ أفضل.
يخرج نصف الغرباء، ويبقى ما تبقّى من غرباءٍ عابرينَ في الأرض، يحصونَ أموالاً، ويتأمّلون الشوارع من النوافذ العلويّة، يغمضون الأعينَ تأثّراً على كل الموت، ويتركون الوقتَ يمضي بطيئاً في الدم.
يتركون المكاتب ويهبطون إلى المقاهي ليحتسوا قهوة ما بعد الظهيرة، يحتفلون بنقاش قضيتين: الحنين إلى الياسمين، وعدد شهداء اليوم، فكل الغرباء يعرفونَ كل الشهداء، يستذكرون الصيف قبل الموت، يتحدثون عن ذكريات الجنون، وروائح البيض في غرف النضال، ويترحّمون على الأصدقاء النافذين في الريح.
في المنفى يعلو البنفسج الناصع على رايات الروح، فلا إكبار ولا إجلال سوى للشهداء المندثرين في اللغة على لوائح الإحصاء.
يتلاشى الحشد مع نهايات القهوة في الزمن عصراً.. ينتشرون ويتواعدون ليلاً، فالراحة بعد يوم مجهد تحتاجُ أريكةً وبعض نوم في لحظة الغروب.
في المنفى يبكي الغرباء على أوطانهم كالسياح التائهينَ في أزقة التاريخ، يتأمّلون الأحجار المُهدّمة، وأشلاء الغيم الشريد.. يشربون في حانات الضوء الضئيل أنخاب الخراب والذكريات، يغنّون للديكتاتور، للشهداء وللنصر القريب، يرقصونَ بإيحاء الشهوة، يثملون، يغادرون، يصعدون المنازل جماعات، فالنواح على الأوطان لا ينتهي بثمالة طائشة لم تعد تكفي القلب للاستمرار.. يُخدّرونَ الدماءَ في أجساد الضحايا – أجسادهم – ضباباً مُحترقاً، لنسيان الوصايا.. ويعدون غدهم وشهداءهم أن ياخذوا بثأر الأحبة.. وينامون بعد تهديم المنازل من الصخب والعنف في الروح.
في المنفى.. يقل الغرباء، فشبح البلادِ يُطاردُ الحلَمَ، والغرباء تعبوا من المنفى القريبِ.. وحان وقت المنافي البعيدة.

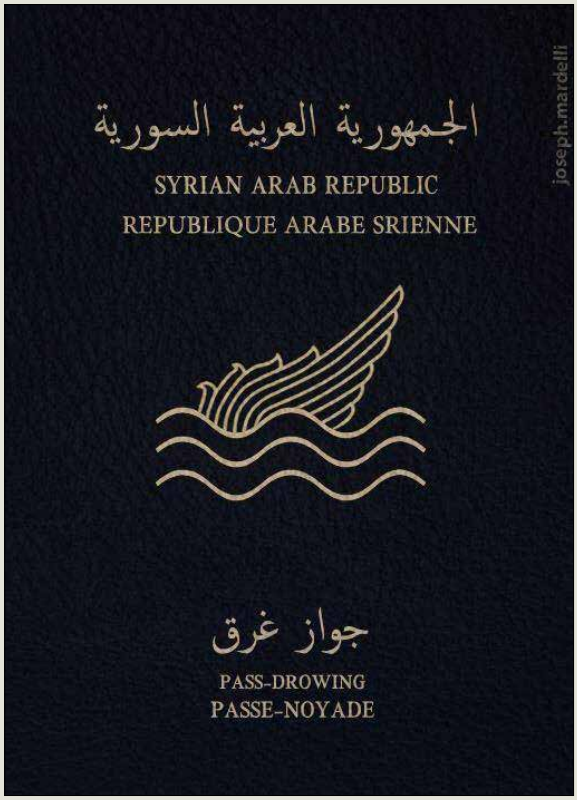
الجمهورية العربية السورية
SYRIAN ARAB REPUBLIC
REPUBLIQUE ARABE SRIENNE
جواز غرق
PASS-DROWING
PASSE-NOYADE
joseph.mardelli

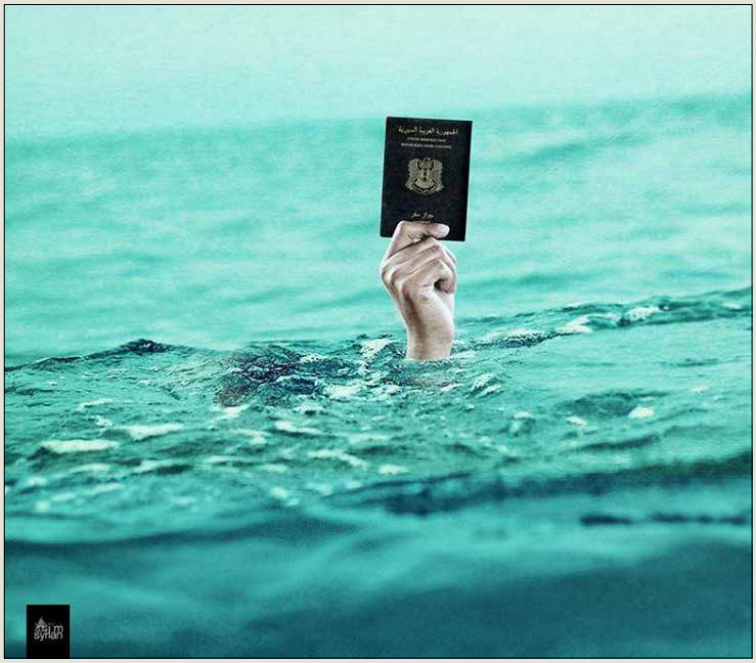

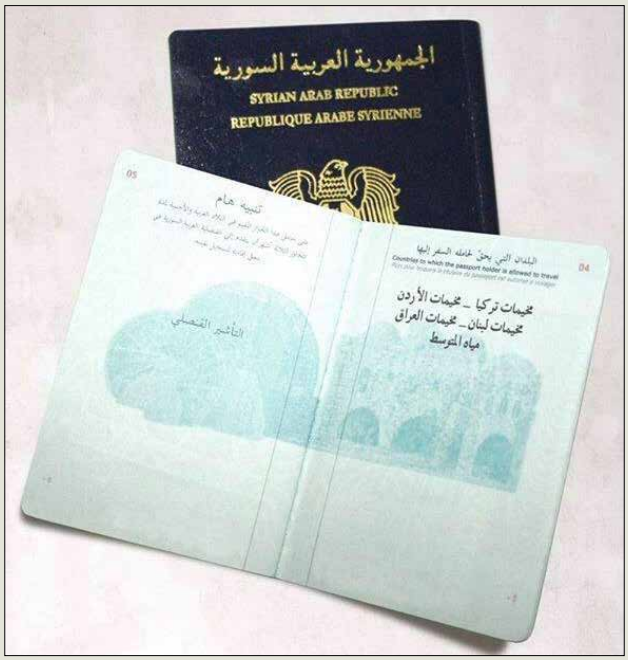
الجمهورية العربية السورية
SYRIAN ARAB REPUBLIC
REPUBLIQUE ARABE SYRIENNE

3000 EUROPEAN FIGHTERS KILLING IN SYRIA
3000 SYRIANS DROWNED TRYING TO REACH EUROPE